الاستراتيجية
السياسية
والتنظيمية



المحتويـــــات

القسم الأول

القسم الثاني

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين– رغم الفترة الزمنية القصيرة التي مضت على تأسيسها– إذ لم يتجاوز عمرها السياسي حتى الآن العام ونصف العام أصبحت تشكل اليوم موضوعياً ظاهرة سياسية عسكرية تستقطب اهتمام إطارات واسعة من الشعب الفلسطيني،كما يتسع كذلك،يوماً بعد يوم،إطار الاهتمام بها على الصعيد العربي والعالمي.

هذه الظاهرة،بقدر ما تحمل من عوامل النمو الثوري التي تحاول الصعود إلى مستوى الثورة التاريخية،تجابه في الوقت نفسه مجموعة أخطار حقيقية،ذاتية وموضوعية،تهدد مصيرها وتحاول عرقلة نموها وتصاعدها . على ضوء ذلك،أي على ضوء هذا التقييم العام لواقع الجبهة وما يثيره في النفوس من حوافز اليقظة،والشعور العميق بالمسؤولية التاريخية،والإدراك الواعي لأهمية الدقة العلمية في رؤية مؤتمر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في شهر شباط/فبراير 1969،ليناقش إستراتيجية العمل الثوري الفلسطيني ويرسم الخطوات العامة– السياسية والتنظيمية والعسكرية– التي تكفل نمو الجبهة المتصاعد لتكون بمستوى مهمة التحرير التي تتصدى لها.

أهمية الفكر السياسي

إن شرطاً أساسياً من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للأمور،والرؤية الواضحة للعدو والرؤية الواضحة لقوى الثورة. على ضوء هذه الرؤية تتحدد إستراتيجية المعركة، وبدونها يكون العمل الوطني عفوياً ومرتجلاً، لا يلبث أن ينتهي إلى الفشل. ولذا بات ضرورياً بالنسبة للشعب الفلسطيني، بعد عشرات السنين من القتال والتضحيات، أن يضمن لكفاحه المسلح هذه المرة مقومات النجاح. لقد ناضل شعبنا طويلاً ضد مخططات الصهيونية والاستعمار. فمنذ عام 1917(عام وعد بلفور) وجماهير شعبنا تناضل من أجل الاحتفاظ بأراضيها ونيل حريتها وطرد المستعمرين من وطنها وتقرير مصيرها بنفسها، واستغلال خيرات وطنها لمصلحة أبنائها. ولقد اتخذ نضالها ضد الصهيونية والاستعمار كافة الأشكال والأساليب. وفي عام 1936 حمل شعبنا السلاح دفاعاً عن أرضه ووطنه وحريته وحقه في بناء مستقبله فقدم الآلاف من الشهداء وتحمل الكثير من التضحيات .

ولذا أثار كفاح شعبنا المسلح في تلك الفترة من التاريخ حالة جماهيرية متحفزة لا تقل عن الحالة التي تعيشها جماهيرنا الآن وهي تلتف حول العمل الفدائي. ومع ذلك،ورغم تلك التضحيات، ورغم قوافل الشهداء التي تزيد في عددها عن شهداء العمل الفدائي اليوم، ورغم حمل السلاح، ورغم حماسة الجماهير، رغم ذلك كله لم ينتصر شعبنا حتى اليوم، وها هو يعيش في غالبيته في مخيمات الشقاء وتحت نير الاحتلال. إذن،لا يكفي أن نحمل السلاح حتى نطمئن إلى نتيجة المعركة. إن الثورات المسلحة في التاريخ انتهى بعضها إلى النصر ولكن بعضها الآخر انتهى إلى الفشل. لابد من مواجهة الحقائق بعقلية علمية ثورية صريحة وجريئة. إن ما يقرر النجاح هو الرؤية الواضحة للأمور وللقوى الموضوعية التي تخوض الصراع. وما يقرر الفشل هو العفوية والارتجال. من هنا تبدو واضحة أهمية الفكر السياسي العلمي الذي يرشد الثورة ويحدد لها إستراتيجيتها. فالفكر السياسي الثوري ليس فكراً مجرداً معلقاً في الهواء، أو مجرد ترف فكري، أو متعة فكرية يتسلى بها المثقفون، وبالتالي نستطيع إذا أردنا أن نتركه جانباً كشيء مجرد أو ترف لا ضرورة له. إنما الفكر الثوري العلمي هو الفكر الواضح الذي تستطيع به الجماهير أن تفهم عدوها، ونقاط ضعفه ونقاط قوته، والقوى التي تسنده وتتحالف معه، وبالمقابل تفهم قواها هي،قوى الثورة، كيف تعبئها وتجندها، وبأي أسلوب وكيف؟ كيف تتغلب على نقاط قوة العدو وكيف تستفيد من نقاط ضعفه؟ ومن خلال أية برامج تنظيمية وتعبوية وسياسية وعسكرية تستطيع أن تتصاعد بقواها حتى تسحق العدو وتحقق الانتصار ؟

إن الفكر السياسي الثوري هو الذي يفسر لجماهير شعبنا أسباب فشلها حتى الآن في مواجهة العدو. لماذا فشلت ثورتها المسلحة عام 1936؟ لماذا فشلت محاولاتها قبل 1936؟ ولماذا حصلت هزيمة حزيران

1967. وما هي حقيقة التحالف المعادي الذي تخوض ضده معركتها؟ ومن خلال أي تحالف تستطيع أن تجابهه وبأي أسلوب؟ كل ذلك بلغة واضحة تفهمها الجماهير. ومن خلال فهمها تتضح أمامها رؤية المعركة وأبعادها وقواها وأسلحتها، بحيث يتحول هذا الفكر إلى قوة تتوحد حولها الجماهير برؤية واحدة للمعركة وإستراتيجية واحدة .

إن مفهوم الفكر السياسي بالنسبة لنا هو وضوح المعركة أمامنا. ومن هنا يأتي تأكيدنا على أهمية وخطورة هذا الأمر .

ما معنى أن نقاتل بدون فكر سياسي؟ معنى ذلك أن نقاتل بشكل مرتجل، وأن نقع في أخطاء دون أن نعي خطورتها وطريقة معالجتها، وأن تتحدد مواقفنا السياسية بشكل عفوي دون وضوح الرؤية، وينتج عن ذلك عادة تعدد في المواقف، وتعدد المواقف معناه تبعثر في القوى، وتشتيت لها، فتكون النتيجة أن تتوزع قوى شعبنا الثورية في أكثر من طريق بدلاً من أن تصب كلها في طريق واحد لتشكل قوة متراصة واحدة .
إننا نريد أن نحذر من خطورة الاستخفاف بهذا الأمر. إن بين مقاتلينا وقواعدنا تياراً يخلط بين الفكر السياسي الثوري وبين عملية"الدجل السياسي" التي مثلتها بعض"القوى السياسية"، وبعض"القادة السياسيين". إن هذا التيار يخلط بين الفكر السياسي الثوري وبين الأساليب السياسية البالية التي اتبعتها الحركة الوطنية الفلسطينية قبل إستراتيجية الكفاح المسلح، كما أن هذا التيار يخلط كذلك بين الفكر السياسي وعملية"الفذلكة الكلامية" المعقدة التي يمثلها بعض المثقفين في مناقشاتهم لقضايا الثورة. ونتيجة لكل ذلك يحاول هذا التيار ان يستخف بالفكر السياسي أو يزدري به. ولابد من عملية تصحيح جذرية نقوم بها هنا. إن الفكر السياسي الثوري هو الذي يفضح"الدجل السياسي" وهو الذي يجعل قناعتنا بالكفاح المسلح قناعة راسخة، وهو الذي يعري أمام الجماهير سخافة الفذلكة الكلامية التي تعقد قضايا الثورة بدلاً من أن تكون سلاحاً بيدها .

ولكي يقوم الفكر السياسي بهذا الدور الثوري لا بد أن يكون فكراً علمياً أولاً، وواضحاً بحيث يكون في متناول الجماهير ثانياً، ومتجاوزاً للعموميات وموغلاً قدر الإمكان في الرؤية الإستراتيجية والتكتيكية للمعركة بحيث يشكل دليلاً للمقاتلين في مواجهة مشكلاتهم ثالثاً. وعندما يستوفي فكر الثورة هذه المقومات، عندها يصبح هذا الفكر أقوى سلاح بيد الجماهير، بواسطته توحد قواها، وترى معركتها بوضوح وترتسم أمامها اللوحة الكاملة للمعركة بكل قواها، وموقع كل قوة من هذه القوى ابتداء من بداية الثورة حتى نهايتها الحاسمة .

من هم أعداؤنا ؟

يقول ماوتسي تونغ في مقاله"تحليل لطبقات المجتمع الصيني" (آذار 1962) :

"من هم أعداؤنا ؟ومن هم أصدقاؤنا ؟ هذه مسألة في الدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة للثورة. والسبب الأساسي في أن جميع النضالات الثورية الماضية في الصين لم تحقق إلا نجاحات ضئيلة جداً، يعود إلى أن الذين قاموا بتلك النضالات لم يستطيعوا الاتحاد مع الأصدقاء الحقيقيين ليهاجموا الأعداء الحقيقيين. إن الحزب الثوري هو مرشد الجماهير، فإذا قادها في الثورة إلى طريق خاطئ فلابد أن تفشل الثورة. وإذا أردنا أن لا إلى نقود الجماهير في الثورة إلى طريق خاطئ وأن نكفل الضرر للثورة، ينبغي لنا أن نهتم بالاتحاد مع أصدقائنا الحقيقيين لنهاجم أعداءنا الحقيقيين. وعلينا لكي نميز بين هؤلاء وأولئك، أن نقوم بتحليل عام للوضع الاقتصادي لمختلف الطبقات في المجتمع الصيني، ولموقف كل منها تجاه الثورة."

من هم أعداؤنا إذن؟

إن الفكر السياسي وراء أية ثورة من الثورات يبدأ بطرح هذا السؤال والإجابة عليه. ولا بد من الاعتراف أن جماهير شعبنا الفلسطيني لم تجب على هذا السؤال بشكل واضح ومحدد ومحسوم حتى الآن. وبدون تحديد واضح للخصم تصبح الرؤية الواضحة للمعركة غير ممكنة .

إن تقييم جماهيرنا للخصم تقييم عاطفي حتى الآن. فعندما نحقق بعض الانتصارات الجزئية يسود مناخ عام بين الجماهير يقلل من قوة الخصم ويستهين به، ويتصور المعركة بأنها معركة سهلة وسريعة يمكن أن نحقق فيها النصر في مدة قصيرة. وعندما يوجه لنا العدو ضربات قاسية نذهب أحياناً للنقيض لنصور عدونا وكأنه قوة لا تقهر.

يتضح إذن أن الرؤية العلمية للمعركة والتخطيط الواعي والمثابر لربحها يستحيلان علينا بمثل هذا التذبذب العاطفي .

لقد جاء الوقت لتفهم جماهيرنا العدو الذي تواجهه على حقيقته لأنه من خلال هذا الفهم تتضح أمامها صورة المعركة .

أولاً :إسرائيل

إننا في معركتنا التحررية نواجه أولاً دولة إسرائيل ككيان سياسي وعسكري واقتصادي يحاول أن يعبئ حوالي المليونين ونصف المليون من مواطني هذه الدولة تعبئة عسكرية كاملة وعالية لكي يدافع عن كيانه العنصري العدواني التوسعي ويحافظ على وجوده ويمنعنا بالتالي من استعادة أرضنا وحريتنا وحقوقنا.

وهذا العدو يتمتع بتفوق تكنولوجي واضح ينعكس بوضوح على مستوى تسليحه وتدريبه وديناميكية حركته، كما يتمتع كذلك بقدرته العالية الناتجة عن شعوره بأنه يخوض معركة حياة أو موت وبالتالي ليس أمامه سوى الدفاع حتى النفس الأخير.

إن هذه الحالة التعبوية وهذا المستوى التكنولوجي المتفوق يجب أن يبقيا مرتسمين دائماً في أذهاننا طيلة مواجهتنا لهذا الخصم. ليس من باب الصدفة أن نكون قد خسرنا حتى الآن كل معاركنا ضد هذا العدو، وأنه خطأ كبير أن نفسر هزائمنا تفسيرات جزئية عرضية. إن معرفة حقيقة العدو هي الخطوة الأولى لرسم إستراتيجية النصر .

ولكن..هل إسرائيل هي كل العدو الذي نواجهه في المعركة ؟

إننا نقع في خطأ كبير إذا اقتصرت رؤيتنا للعدو على دولة إسرائيل.غن مثلنا هنا كمثل ن يتصور أمام عشرة أشخاص فلا يكون متهيئاً لمثل هذا الوضع .

ثانياً : الحركة الصهيونية العالمية

إن إسرائيل هي جزء لا يتجزأ من الحركة الصهيونية العالمية، بل هي في حقيقة الأمر نتاج لها. ونحن إذن في معركتنا لا نواجه إسرائيل وحدها بل نواجه إسرائيل المستندة موضوعياً إلى قوة الحركة الصهيونية. إن الحركة الصهونية كحركة دينية عنصرية تحاول تنظيم وتجنيد 14 مليون "يهودي" في شتى أنحاء العالم لمساندة إسرائيل وحماية وجودها العدواني وترسيخ وتوسيع هذا الوجود.

وهذه المساندة لا تقتصر على المساندة المعنوية، بل هي في واقع الأمر وبالأساس مساندة مادية تشمل مد إسرائيل بالمزيد من البشر والمزيد من المال والسلاح والخبرة العلمية التكنولوجية والتحالفات التي تعقدها بحكم نفوذها، بالإضافة إلى السند الإعلامي والدعاوى في كل جزء من العالم. وبالتالي فإننا عندما نقول بأن عدونا

هو إسرائيل مضافة لها الحركة الصهيونية فنحن هنا لا نضيف لخصمنا كلمة من الكلمات بل قوة مادية من حجم معين علينا أن نأخذها بعين الاعتبار في حسابات المعركة .

وإذا كنا في هذا التقرير نكتفي بهذه الرؤية العامة لإسرائيل والحركة الصهيونية العالمية، فإنه لا بد من الإشارة إلى ضرورة دراسة إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية دراسة دقيقة وتفصيلية،لا تغيب الرؤية العامة من خلال التفاصيل بل تثبتها وتجعلها ملموسة أكثر بشكل حسي بحيث نتخلص من كل تصور سطحي عن هذا العدو .

وفي السنوات الأخيرة بدأ شيء من الاهتمام بدراسة إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية. ومثل هذه الدراسات تضع أمامنا الحقائق عن هذا العدو بجوانب حياته السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ومن المفروض أن تقبل كوادرنا القيادية السياسية والعسكرية، على مطالعة هذه الدراسات بغض النظر عن المنهج السياسية الذي يحكم خط تفكير واضعيها، إذ أنه من خلال الأرقام والحقائق الجزئية والمعلومات التفصيلية، تتبلور لدينا الصورة المحسومة لهذا العدو، بحيث تتجسد أمامنا بوضوح حقيقة العدو الذي نخوض المعركة ضده.

هذا ولا بد من الإشارة إلى ان هناك بطبيعة الحال مجموعة تناقضات داخل إسرائيل، مثلها مثل أي مجتمع، وتناقضات بين إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية–تحكم العدو الذي نواجهه متمثلاً بإسرائيل والصهيونية. وإن هذه التناقضات يجب أن تبقى موضع دراسة وتتبع من قبلنا. ولاشك أن نمو المقاومة سيزيد من حدة هذه التناقضات بحيث نستطيع أن نحولها لمصلحة معركة التحرير .

إلا أن هذه التناقضات لم تصل حتى الآن إلى الحد الذي يعيق عملية الحشد والتلاحم التامة القائمة داخل إسرائيل والحركة الصهيونية العالمية بحيث تبقى صورة العدو هي صورة هذا المعسكر المحشود المتلاحم بقوة وكفاءة تقنية عالية وتنظيم دقيق بهدف تعبئة سكان إسرائيل ويهود العالم تعبئة كاملة لمواجهتنا في هذه المعركة .

والآن... هل تقتصر رؤيتنا للعدو عند هذا الحد ؟

هل هذه هي صورة "كل العدو" الذي نواجهه .

هنا نقول للمرة الثانية إننا نخطئ خطأ كبيراً، ولا نضع الحسابات العلمية للمعركة إذا اقتصرت رؤيتنا عند هذا الحد .

إننا في معركة تحرير فلسطين نواجه قوة ثالثة، هي قوة الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

ثالثاً:الامبريالية العالمية

إن الامبريالية العالمية لها مصالحها التي تدافع بكل شراسة في سبيل إبقائها والمحافظة عليها. وهذه المصالح تتمثل في نهب ثروات البلدان المتخلفة وشرائها بأبخس الأثمان، تم تصنيع هذه الثروات وبعد ذلك بيعها في أسواق هذه البلدان بأغلى الأسعار. ومن خلال هذه العملية تحصل الامبريالية على أرباحها الفاحشة وبالتالي زيادة رساميلها على حساب فقر الشعوب وبؤسها وشقائها. والوطن العربي يحتوي على ثروات كبيرة أهمها البترول، كما يشكل سوقاً شرائية واسعة للبضائع المصنعة. ومن هنا تريد الامبريالية المحافظة على هذا الوضع حتى تستمر عملية تراكم ثرواتها من جهة، وتزايد فقرنا من جهة ثانية. وهي في سبيل ذلك حريصة كل الحرص أن تضرب وتسحق كل تحرك ثوري يريد تحرير وطننا وشعبنا من عملية الاستغلال هذه .

والتحرك الثوري الجماهيري في الوطن العربي يستهدف بطبيعة الحال القضاء على إسرائيل باعتبارها قوة غاصبة لجزء من هذا الوطن، وخطراً كبيراً يهدد أجزاء أخرى منه. ومن هنا لا تستطيع إسرائيل إلا أن تحارب حتى النهاية كل تحرك ثوري فلسطيني وعربي. وهنا يجد الاستعمار نفسه في أفضل وضع هذا الجزء من العالم. فمن خلال إسرائيل وبواسطتها يستطيع أن يحارب التحرك الثوري العربي الذي يستهدف القضاء على وجوده في وطننا وبالتالي تصبح إسرائيل هي القوة والقاعدة التي يدافع بها الاستعمار عن ووجوده ومصالحة في وطننا. ومثل هذا الوضع يخلق تلاحما عضوياً بين إسرائيل والحركة الصهيونية من جهة وبين الامبريالية العالمية من جهة ثانية، إذ أن كليهما يلتقيان عند مصلحة واحدة وهي ضرب حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية .

وبالتالي تصبح حماية إسرائيل وتقويتها ومساندتها والمحافظة على وجودها أمراً أساسياً بالنسبة لمصالح الامبريالية العالمية. وبهذا تتلاحم صورة الخصم لتشمل بشكل واضح إسرائيل + الحركة الصهيونية العالمية + الامبريالية العالمية .

هنا أيضاً نريد أن نؤكد أن إضافة الامبريالية على تصورنا لمعسكر الخصم لا يجوز أن تعني مجرد إضافة كلمة في تعريفنا للعدو. بل إنها تدخل في صلب تصورنا الحسي الملموس للخصم الذي نخوض معركتنا ضده .إن الامبريالية هنا، تعني مزيداً من السلاح والدعم والمال لإسرائيل. إنها تعني طائرات الفانتوم، وأسرار القنبلة الذرية، وبناء الاقتصاد الذي يستطيع أن يواجه حالة الحصار وحالة الحرب الدائمة التي نحاول فرضها. إن ملايين الملايين من الماركات الألمانية الغربية والدولارات الأميركية تتحول هنا إلى قوة ملموسة تزيد من قوة إسرائيل وبالتالي يجب أن تدخل في حساباتنا للمعركة .

إن عدونا إذن ليس إسرائيل وحدها. بل إسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية. وما لم نعرف عدونا معرفة علمية وواضحة فلن نستطيع الانتصار عليه. إن الرأي الذي يحاول"تحييد" قضية التحرير الفلسطينية على الصعيد العالمي بقوله"لماذا لا نحاول أن نربح الولايات المتحدة إلى جانبنا في المعركة بدلاً من ان تكون إلى جانب إسرائيل" هو رأي خاطئ وخطير. إنه رأي غير علمي ومثالي، بعيد عن الموضوعية، وخطورته تكمن في تمويه حقيقة العدو الذي نجابهه وبالتالي الوقوع في خطأ الحسابات أثناء المعركة .

هل تنتهي عملية تحديدنا للعدو عند هذا الحد ؟

هل هذه هي كل القوى التي نجابهها في معركة التحرير الفلسطينية ؟

هل هذا هو"كل العدو" الذي نواجهه ؟

إن هناك قوة رابعة تقف موضوعياً في معسكر الخصم لا بد من رؤيتها وتحديدها بوضوح .

رابعاً:الرجعية المتمثلة بالإقطاع والرأسمالية

إن الرأسمالية العربية– التي تمثلها وتحافظ على مصالحها أنظمة الحكم الرجعية في الوطن العربي – لا تمثل رأسمالية مستقلة حتى تستطيع أن تتخذ مواقف سياسية مستقلة. إن هذه الرأسمالية هي في واقع الأمر فروع ضعيفة للرأسمالية العالمية متشابكة معها وتشكل جزءاً لا يتجزأ منها. إن أصحاب الملايين في الوطن العربي من التجار وأصحاب البنوك والإقطاعيين كبار ملاكي الأراضي والملوك والأمراء والشيوخ هم في واقع الأمر أصحاب هذه الملايين بسب تعاونهم مع الرأسمالية العالمية. فهم قد حصلوا على هذه الثروات لأنهم أصحاب وكالات تجارية لبضائع الرأسمال الأجنبي،أو أنهم مساهمون ثانويون في مؤسساته المصرفية ووكالات التأمين الأجنبية، أو أنهم مشايخ وأمراء وملوك على رأس أنظمة تدافع عن مصالح الاستعمار وتحميها وتضرب كل

تحرك جماهيري يستهدف تحرير اقتصادنا من هذا النفوذ الاستغلالي. وبالتالي فإنهم لا يستطيعون أن يبقوا كأصحاب ملايين إلا من خلال بقاء وطننا سوقاً للبضائع والرساميل الأجنبية وإلا إذا استمر نهب الاستعمار لثروتنا البترولية وغير البترولية. إذ أنهم بهذه الطريقة فقط يستطيعون الحصول على كل هذه الملايين والمحافظة عليها .

ومعنى هذا ان الرجعية العربية – في معركة تحرير حقيقة تخوضها الجماهير للقضاء على نفوذ الامبريالية في وطننا – لا يمكن إلا أن تكون إلى جانب مصالحها المتوقف استمرارها على بقاء الامبريالية وبالتالي لا يمكن أن تكون في صف الجماهير .

إن هذه القوى الرجعية العربية– والذكية منها بشكل خاص– يمكن أن تؤيد شكلاً حركات وطنية سطحية، لتستفيد منها في حسم بعض تناقضاتها الجزئية مع إسرائيل أو الامبريالية العالمية لمصلحتها. ولكنها لا يمكن إلا ان تكون في النهاية ضد كل حركة تحرير وطنية تستهدف استئصال جذور الاستعمار في وطننا وبناء الاقتصاد المتحرر الذي يخدم مصلحة الجماهير بدلا من أن تذهب موارده إلى جيوبها .

إن نمو حركة الجماهير الثورية معناه بالنسبة لهذه القوى نمو سلطة الشعب. وسلطة الشعب معناها القضاء على سلطة هذه القوى. وبالتالي فإنه مهما بلغت تناقضات الرجعية العربية مع إسرائيل والامبريالية إلا أنها تدرك دائماً أن تناقضها الرئيسي هو مع حركة الجماهير التي تستهدف القضاء التام على مصالحها وسلطتها.

إن تحديد الرجعية العربية كقوة من قوى الخصم في المعركة أمر في غاية الأهمية.إذ أن غياب هذه الحقيقة معناه غياب وضوح الرؤيا أمامنا. ومعناه عملياً إغفالنا لقواعد ولقوى حقيقة لمعسكر الخصم تعيش بيننا وفي وسطنا، وبالتالي تستطيع أن تلعب دور تشويش يموه حقائق المعركة أمام الجماهير كما تستطيع في الوقت المناسب أن تضرب الثورة من حيث لا تتوقع، وتؤدي بنا إلى الهزيمة .

هذا إذن هو معسكر الخصم كما نواجهه موضوعياً في معركتنا لتحرير فلسطين. ولا يمكن أن نربح المعركة بدون الرؤيا الواضحة لكل أطراف هذا المعسكر، وعلى ضوء تحديد هذه الأطراف ورؤية ترابطها مع بعضها بعضاً يتضح أن خصمنا الحقيقي والأساسي والأقوى هو الامبريالية العالمية وإن الرجعية العربية مجرد فرع من فروعها وأن أساس قوة إسرائيل هو في كونها قاعدة من قواعد الامبريالية العالمية التي تمدها بكل أسباب

القوة وتحولها إلى قوة عسكرية كبيرة تملك التفوق التكنولوجي وتملك الاقتصاد الذي يمكنها من الاستمرار في الحياة رغم الأوضاع التي تعيشها .

وهكذا تصبح معركة تحرير فلسطين مثلها مثل أية معركة تحرير في العالم. معركة ضد الامبريالية العالمية المصممة على نهب ثروات العالم المتخلف وإبقائه سوقاً لبضائعها. إن لإسرائيل بطبيعة الحال، وللحركة الصهيونية كذلك خصائصهما الذاتية، ولكن هذه الخصائص لا بد من رؤيتها من خال تلاحم إسرائيل تلاحماً عضوياً مع الامبريالية العالمية .

لقد حالت قوى الإقطاع والبرجوازية الفلسطينية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أن تصور المعركة وكأن الخصم هو فقط الحركة الصهيونية والمستوطنين اليهود في فلسطين، وعلى أساس أن الاستعمار البريطاني يمكن أن يكون قوة محايدة في مثل هذا الصراع، إلى أن أدركت الجماهير وفصائلها الوطنية المتقدمة بحسها ووعيها إن عدوها الحقيقي هو الاستعمار البريطاني الذي يريد تقوية ودعم الحركة الصهيونية في وطننا كوسيلة لضرب طموح الجماهير التقدمي .

شعبنا اليوم لم يعد بحاجة على تجارب جديدة ومسيرات مرتجلة . إننا في معركة تحرير فلسطين نواجه الامبريالية العالمية بالدرجة الأولى، ومعركتنا هي ضدها في الأساس وضد قاعدتها إسرائيل وضد الرجعية المرتبطة بها. وإنا لن نربح المعركة ما لم نعرف عدونا بوضوح لتكون حساباتنا للمعركة حسابات صحيحة.
إن كل نقص أو غموض في رؤية معسكر الخصم بكل أطرافه وفصائله وتحالفاته، معناه نقص أو غموض في تصور مستوى التعبئة الثورية التي يجب أن نصل إليها لنكون بمستوى التصدي لمثل هذا المعسكر ولتحقيق التفوق عليه في المعركة .

على ضوء ذلك كله تتضح الملامح الرئيسية للعدو الذي نواجهه .

أولاً: أعداؤنا في المعركة هم إسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية والرجعية العربية .

ثانياً: هذا العدو يملك تفوقاً تكنولوجياً وتفوقاً حاسماً في الإنتاج يتحول بطبيعة الحال إلى تفوق عسكري وإلى قوة حربية كبيرة .

ثالثاً: يملك العدو بالإضافة لكل ذلك خبرته الطويلة في مواجهة تحرك الجماهير نحو تحررها الاقتصادي والسياسي، والقدرة على إجهاض هذا التحرك ما لم تملك الجماهير الوعي السياسي العالي الذي يمكنها من التغلب على كافة أساليب الاستعمار الجديد في إجهاض الثورات .

رابعاً: إن طبيعة المعركة بالنسبة للقاعدة العسكرية الرئيسية لهذا العدو –متمثلة بإسرائيل– هي معركة حياة أو موت ستحاول القيادة السياسية والعسكرية داخل إسرائيل أن تخوضها حتى النفس الأخير.

من خلال هذه الرؤية الواضحة لمعسكر الخصم تتبلور الرؤية وتتضح هذه الأمور وتنتفي كل نظرة سطحية عن المعركة .

إن مثل هذه الرؤية هي التي تحدد مكان المعركة ومداها الزمني وطبيعة القتال فيها. وبعبارة أخرى فإن مثل هذه الرؤية هي التي تحدد :

1- أهمية النظرية الثورية والفكر السياسي الثوري اللذان يستطيعان أن يعبئا كل قوى الثورة لتستطيع مواجهة العدو والصمود في هذه المواجهة ودحر كل وسائل العدو في إجهاض العمل الثوري وتخريبه.
2- التنظيم السياسي الحديدي الذي يقود قوى الثورة في معركة مصممة على الانتصار تصميماً يفوق تصميم العدو على الدفاع عن وجوده ومصالحه حتى النفس الأخير.
3- طبيعة وحجم التحالفات الثورية التي يجب تجنيدها لمواجهة كل معسكر الخصم .
4- أسلوب الكفاح المسلح المتخذ شكل حرب العصابات في بادئ الأمر والمتطور باتجاه حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد والتي تضمن التغلب في نهاية الأمر على التفوق التكنولوجي والعسكري للعدو .

إن طبيعة العدو هي التي تحدد طبيعة المواجهة, ومن هنا تبرز خطورة كل نظرة سطحية أو غير علمية لمعسكر الخصم ولأهم خصائصه.

قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني

لابد من تحديد قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني من وجهة نظر طبقية. إن القول بأن الشعب الفلسطيني بكافة طبقاته هو في نفس الوضع الثوري تجاه إسرائيل وإن كافة طبقات الشعب الفلسطيني لديها الطاقة الثورية نفسها بحكم وجودها بدون أرض وخارج وطنها هو قول مثالي وغير علمي. إن هذا القول يمكن أن يكون صحيحاً لو كان الشعب الفلسطيني بكامله يعيش نفس هذه الأوضاع، بل يعيش أوضاعاً حياتية متمايزة فإننا لا نستطيع علمياً تجاهل هذه الحقيقة.

وبالتالي لا بد من الوقوف أمام هذه الأوضاع المتمايزة وما تفرزه من تباين أو تفاوت في المواقف. صحيح أن قسماً كبيراً من الشعب الفلسطيني طرد عام 1948 خارج وطنه ووجد نفسه في ظل أوضاع التشرد المتشابهة تقريباً، وصحيح أن من تبقى من شعب فلسطين داخل وطنه كان مهدداً دائماً بأن يلقى نفس المصير، ولكنه صحيح أيضاً أن أوضاع الشعب الفلسطيني قد استقرت خلال العشرين سنة الماضية واتخذت أوضاع طبقية محددة بحيث أصبح من الخطأ القول بأن الشعب لفلسطيني كله بدون أرض، وكله ثوري. لقد قامت خلال العشرين سنة الماضية مصالح طبقية معينة أصبحت هي الأساس في تحديد المواقف. وبالتالي فإن الطبقة البرجوازية من الشعب الفلسطيني لم تعد بدون أرض، وبدون مصالح، لقد أصبحت لها مصالحها وبالتالي أصبح يهمها الاستقرار واستمرار تأمين أوضاعها الطبقية المتميزة .

لذلك كله فإننا في تحديد قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني لا بد من الانطلاق من وجهة نظر طبقية . إن الفكر اليميني في الساحة الفلسطينية والعربية يحاول أن يلغي أو يميع النظرة الطبقية للأمور، وبالتالي لا بد من دحض كافة محاولاته على هذا الصعيد.

هناك مثلاً القول بأن الصورة الطبقية في الساحة الفلسطينية وكذلك في البلدان المتخلفة ليست متبلورة بالشكل الذي تكون عليه في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، وبالتالي فإنه من الخطأ النظر إلى القضية الطبقية في هذه المجتمعات بنفس الطريقة التي ينظر بها إليها في البلدان الأخرى .

وهناك رأي آخر يقول بأننا الآن في مرحلة التحرر الوطني، وفي مثل هذه المرحلة لا يكون الصراع طبقياً. إن الصراع الطبقي مبرر في مرحلة الثورة الاشتراكية، أما في مرحلة التحرر الوطني فإن الصراع الطبقي معناه طغيان التناقض بين طبقات الشعب على التناقض الرئيسي بين الشعب بأكمله وبين المستعمر الأجنبي. ويضيف الفكر اليمني هنا كذلك أن إسرائيل تمثل استعماراً من نوع معين يهدد وجود الشعب

الفلسطيني بكل طبقاته، وبالتالي فإن القضية هنا ليست قضية طبقية بل هي قضية صراع بين الوجود الصهيوني والوجود الفلسطيني العربي، ومعنى ذلك أن كل طبقات الشعب الفلسطيني والشعب العربي هي في تناقض رئيسي مع إسرائيل .

إن ترك هذا النمط من الفكر السياسي يأخذ مجراه دون مواجهته علمياً وتفنيده معناه الضياع التام وغياب رؤية القوى الطبقية الثورية الحقيقية التي تشكل محور الثورة، وإمكانية وقوع الثورة تحت قيادة طبقية لا تستطيع أن تسير بها حتى نهاية الشوط، ولا يمكنها وضع البرامج الثورية الجذرية التي من خلالها فقط يمكن ربح المعركة .

إن التكوين الطبقي في مجتمع متخلف يختلف بطبيعة الحال عن التكوين الطبقي في المجتمعات الصناعية، ففي المجتمعات الصناعية هناك طبقة رأسمالي قوية يقابلها طبقة عمالية كبيرة العدد، والصراع الأساسي في مثل هذه المجتمعات هو صراع حاد بين هاتين الطبقتين. مثل هذه الصورة غير قائمة في المجتمعات المتخلفة، ولكن المجتمعات المتخلفة هي أيضاً مجتمعات فيها طبقات فوقية مستغلة(بكسر الغين) متمثلة بالاستعمار والإقطاع والبرجوازية الكبيرة، وطبقات مستغلة(بفتح الغين) متمثلة بالعمال والفلاحين. وبالتالي فإن لكل طبقة موقفها من سير التاريخ، أما الطبقات التحتية فهي طبقات ثورية تريد التغيير وتدفع التاريخ في سيره الجدلي إلى الأعلى وبالتالي فإن الحديث عن خصوصية المجتمعات المتخلفة هو علمي بقدر ما يقف علمياً أمام خصوصية الوضع الطبقي في هذه المجتمعات واختلافه عن الوضع الطبقي في المجتمعات المتقدمة. ولكنه يصبح حديثاً مغرضاً وغير علمي إذا ألغى القضية الطبقية في هذه المجتمعات أو قلل من مدى الفوارق في مواقف هذه الطبقات من قضية الثورة .

إننا مثلاً نعيش هنا في مجتمع متخلف وغير صناعي، ومع ذلك فإن جماهير شعبنا لا تعيش الأوضاع الحياتي نفسها. ففي عمان مثلاً أناس يعيشون في جبل اللويبدة، وأناس يعيشون في جبل النظيف وأناس يعيشون في المخيمات ولا يمكن أن تكون مواقف هؤلاء الناس واحدة من قضية الثورة .

أما القول بأننا نعيش في مرحلة تحرر وطني وليس مرحلة الثورة الاشتراكية فهذا له علاقة بموضوع أية طبقات هي المتصارعة، وأية طبقات تقف مع الثورة وأية طبقات تقف ضدها في كل مرحلة من المراحل ولكنه لا يلغي القضية الطبقية وقضية الصراع الطبقي.

إن معارك التحرر الوطني هي أيضاً معارك طبقية، معارك بين الاستعمار والطبقة الإقطاعية والرأسمالية المرتبطة مصالحها مع مصالحه من جهة ثانية. وإذا كنا نعني بقولنا إن معارك التحرر الوطني هي معارك وطنية قومية بمعنى أنها معارك تخوضها الغالبية الساحقة من جماهير الأمة، فهذا صحيح إما أن يكون المقصود من ذلك بأنها تشذ عن قاعدة الصراع الطبقي بين المستغلين(بكسر الغين) والمستغلين(بفتحها) فهذا غير صحيح .

ومن هذه الزاوية كذلك يجب أن ننظر إلى القول بأن الخطر الإسرائيلي الصهيوني يهدد الوجود الفلسطيني والعربي بكامله وإن الصراع هو صراع بين المحور الصهيوني والمحور العربي. فإذا كان المقصود من هذا الكلام هو كون الخطر الصهيوني يهدد الغالبية الساحقة من الجماهير الفلسطينية والعربية فهذا صحيح وأكيد. وأما إذا كان المقصود من هذا الكلام هو نفي الالتقاء في المصالح بين إسرائيل والرجعية العربية (رغم قلة نسبتها العددية إلى جماهير الشعب) أو نفي التفاوت في الأدوار الثورية لبقية الطبقات بحيث تعتبر ثورية البرجوازية الصغيرة التي تعيش في المدن على نفس مستوى ثورية سكان الريف أو سكان المخيمات فهذا غير صحيح .

خلاصة القول إن نظرتنا الطبقية لقوى الثورة الفلسطينية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الوضع الطبقي في المجتمعات المتخلفة وكون معركتنا معركة تحرر وطني، كذلك خصوصية الخطر الصهيوني. ولكن ذلك يعني أن نحدد علمياً طبقات الثورة وأدوارها على ضوء هذه الخصوصيات، ولا يجوز أن يعني إلغاء النظرة الطبقية في تحديد قوى الثورة .

إن الفكر اليميني هو الذي يحاول إلغاء النظرة الطبقية لدى تحديد قوى الثورة وذلك لكي يتيح البرجوازية إمكانية التسلل مراكز القيادة وإجهاض الثورة عند الحدود التي تفرضها مصالحها .

إننا يجب أن نواجه بكل قوة كافة الأفكار التي تحاول حجب الحقائق الطبقية الموضوعية بستار من الضبابية والغموض. هل يلتحق بالقتال الفعلي اليوم أبناء كافة الطبقات؟ أم أن الغالبية الساحقة من المقاتلين هم من أبناء العمال والفلاحين. وإذا كانت غالبية المقاتلين الساحقة من أبناء العمال والفلاحين، فلماذا لا يتطابق الفكر السياسي للثورة الفلسطينية مع الحقائق الموضوعية الواضحة .

العمال والفلاحون هم عماد الثورة ومادتها الطبقية الأساسية وهم قيادتها :

على ضوء النهج العلمي الاشتراكي، وعلى ضوء تجارب الثورات في العالم، وعلى ضوء الحقائق القائمة في الساحة الفلسطينية، يجب أن نحدد بوضوح من هي طبقات الثورة القادرة على تحمل كافة أعبائها .

إن طبقات الثورة في الساحة الفلسطينية هي العمال والفلاحون فهذه الطبقات هي التي تعاني يومياً من عملية الاستغلال الظالم التي تمارسها الامبريالية العالمية وحلفاؤها في وطننا .

إن العمال والفلاحين هم الذين يملأون اليوم مخيمات الشقاء التي تعيش فيها الغالبية من أبناء فلسطين. فإننا عندما نتحدث عن المخيمات نتحدث في حقيقة الأمر عن واقع طبقي يمثل العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة المعدمة من الشعب الفلسطيني .

إن البرجوازية الفلسطينية لا تعيش في المخيمات، والقطاع الأكبر من البرجوازية الصغيرة لا تعيش أيضاً في المخيمات. إن المخيمات هي العمال والفلاحين والقطاع المسحوق من البرجوازية الصغيرة الذي لا تختلف ظروف حياته كثيراً عن حياة العمال والفلاحين .

لابد من الرؤية الواضحة للأمور، ولا بد من الفكر السياسي الذي يتطابق مع هذه الرؤية. ولابد من تحديد قوى الثورة وطبقات الثورة وأية طبقات تقود الثورة ونحن في بداية هذه المرحلة الجديدة من العمل الوطني الفلسطيني. ولابد من العمل على أساس هذا التحديد وإلا فإننا نكون في واقع الأمر نكرر القتال العفوي الذي قامت به جماهير شعبنا خلال الخمسين سنة الماضية دون أية نتائج حاسمة .

إن مادة الثورة الفلسطينية وعمادها وقواها الأساسية هم العمال والفلاحون. وهذه الطبقات هي التي تشكل غالبية الشعب الفلسطيني، وهي التي تملأ من حيث المكان كافة المخيمات والقرى والأحياء الفقيرة في المدن. هنا تكمن قوى الثورة. هنا قوة التغيير. هنا الاستعداد الحقيقي لتحمل سنوات طويلة من القتال. هنا الظروف الحياتي اليومية المضنية التي تدفع الناس دفعاً للقتال والموت لأن الفارق بين الموت والحياة في ظل الظروف فارق غير ملموس .

إن الانطلاق من هذه النظرة الموضوعية هو الذي يحدد العلامة الفارقة بين كفاح شعبنا المتعثر خلال الخمسين سنة الماضية وبين هذه المرحلة الجديدة من الكفاح، وهو الذي يضع حداً فاصلاً بين الوضوح

والغموض. وهو الذي يحدد كذلك الفارق الكبير بين مسيرة ثورية تنتهي بالنصر وبين مسيرة مترددة متذبذبة تنتهي بالفشل .

إننا عندما نتوجه للعمال والفلاحين سكان المخيمات والقرى والإحياء الفقيرة من مدننا ونسلحهم بالوعي والتنظيم ووسائل القتال نكون قد أوجدنا الأساس المادي المتين لثورة تحررية تاريخية. إن قيام هذا العمود الفقري المتين للثورة هو الذي يمكننا من عقد تحالفات طبقية تفيد الثورة دون أن تعرضها للتذبذب أو الانحراف أو الإجهاض.

البرجوازية الصغيرة الفلسطينية

من هذه الطبقة؟ ما هو حجمها. ما هو موقفها من الثورة؟ وما هي العلاقات التي تقوم بينها وبين العمال والفلاحين؟

مادة الثورة الأساسية :

إن البرجوازية الصغيرة تضم أصحاب الحرف والصناعات اليدوية، والأساتذة وصغار المثقفين كالطلاب ومعلمي المدارس الابتدائية، وصغار الموظفين، وأصحاب الدكاكين الصغار، والمحامين والمهندسين والأطباء .

إن البرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة ضخمة العدد وقد تشكل نسبة كبيرة من السكان وبالتالي لا بد وأن ندرك أثناء الحديث عن هذه الطبقة بأننا نتناول بالبحث قسماً كبيراً من أبناء شعبنا، وبالتالي فإنه من الضروري ان نحدد موقع هذه الطبقة الضخمة العدد، تحديداً علمياً سليماً وواضحاً. لأننا سنقع في خطأ كبير يؤثر على مسيرة الثورة إذا حددنا لهذه الطبقة دوراً يفوق الدور الذي تستطيع موضوعياً أن تقوم به، نقع في خطأ كبير إذا أدت أية نظرة خاطئة لهذه الطبقة إلى فقدان الثورة لقوة من قواها .

ولدى الحديث عن البرجوازية الصغيرة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار إننا لا نستطيع أن ننظر لها ونحدد موقفنا منها كطبقة محددة المعالم. فإن فريقاً من هذه الطبقة يعيش أوضاعاً حياتية مريحة توفر له متطلباته الأساسية مع شيء من الفائض يجعله يتطلع دائماً إلى الارتقاء لمنزلة البرجوازية الكبيرة، بينما فريق آخر من هذه الطبقة لا يكاد يحصل على متطلباته الحياتية الأساسية، بالتالي فإنه، على هذا الأساس، أقرب للثورة وأكثر ميلاً للتغيير، ومن هنا تبرز ضرورة الدراسة الدقيقة لأوضاع هذه الطبقة وموقف كل فريق منها على ضوء كل مرحلة من مراحل الثورة .

إن البرجوازية الصغيرة لا تعيش ضمن أوضاع طبقية محددة مثل طبقة العمال. ومن هنا يظهر تذبذب مواقفها وانتقالها من موقع لآخر على ضوء مسيرة الثورة ومرحلتها.

إلا إننا بوجه عام نستطيع القول بأن هذه الطبقة إبان مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي يمكن أن تكون حليفاً لقوى الثورة، ومادتها الأساسية المتمثلة بالعمال والفلاحين، غير أن التحالف مع هذه الطبقة يجب أن يكون تحالفاً واعياً بحيث لا تتسلل من خلاله إلى موقع القيادة، فتعرض الثورة التذبذبات والانحراف أو التخاذل.

وبالتالي فإن الموقف الثوري من هذه الطبقة يتحدد في نقطتين رئيسيتين :

النقطة الأولى : إن هذه الطبقة هي حليف للثورة .

النقطة الثانية : إن هذا الحليف ليس هو مادة الثورة الأساسية وبالتالي لا يجوز أن تكون الثورة بقيادته، وقيادة برامجه، وإستراتيجيته. وعلى ضوء ذلك فإن القانون الذي يحكم علاقاتنا مع هذه الطبقة هو التحالف بينها وبين الثورة للوقوف في وجه التناقض الأساسي المتمثل بمعسكر الأعداء كما حددناه سابقاً، وفي الوقت نفسه الصراع مع هذه الطبقة حتى لا تصبح هي وبرامجها وإستراتيجيتها قيادة الثورة.

إن تطبيق هذا القانون على علاقاتنا مع هذه الطبقة أمر في غاية الدقة، وأحياناً في غاية الصعوبة، ذلك لأن هذه الطبقة بالإضافة إلى ضخامة عددها تمتلك الوعي والعلم بحكم أوضاعها الطبقية. وبالتالي فهي تمتلك القدرة الذكية على الإفادة من هذا التحالف للتسلل إلى موقع قيادة الثورة ما لم تكن طبقات الثورة الأساسية المتمثلة بالعمال والفلاحين تمتلك الوعي والتنظيم والكفاءة .

ولكي ننتصر على هذه الطبقة في صراعنا معها حول القيادة أي صراعنا معها حول إستراتيجية الثورة وبرامجها وإطاراتها التنظيمية دون أن يؤثر هذا الصراع على معركتنا الأساسية ضد العدو لابد من أن نعرف متى نتحالف ومتى نتصارع وكيف نتحالف وكيف نتصارع. وما لم نعرف هذه الأمور فإننا نخشى أن يؤدي هذا الصراع إلى خطرين قاتلين :

الخطر الأول : ان يكون الصرع على حساب الصراع الأساسي .

الخطر الثاني:أن تربح البرجوازية الصغيرة هذا الصراع وتصبح قيادة هذه الثورة بحكم ما تتمتع به من قدرة موضوعية .

إن القياس الذي يحدد سلامة مواقفنا بهذا الصدد هو أن نتحالف عندما تتطلب مصلحة الثورة ومصلحة الجماهير هذا التحالف، وان نتصارع عندما تستطيع الجماهير أن تلمس وتفهم أسباب هذا الصراع.

المهم أن نكون نحن مع الجماهير ،وتكون الجماهير معنا عندما نتحالف وعندما نتصارع. في الفترات التي يواجه بها العمل الفدائي أخطاراً حقيقية تهدد بقاءه أو في الفترات التي تسعى بها القوى المعادية إلى تصفية القضية فإننا هنا يجب أن نرفع شعار التحالف ونسعى إليه ونكون أمام الجماهير القوة الداعية للتحالف. أما الصراع فيجب أن يكون من خلال موقف محدد أو قضية محددة تمسها الجماهير .

إن تحليلنا لهذه الطبقة أنها تتخذ أحياناً بحكم بنيتها الطبقية مواقف غامضة ووسطية متذبذبة. ومعنى هذا التحليل أنه ستأتي مناسبات واضحة تتخذ فيه تنظيمات هذه الطبقة مثل هذه المواقف. هنا تستطيع الجماهير ان تبرر الصراع وتطالب به وتكون خلاله إلى جانبنا. وأمامنا مثلاً ما حدث يوم1968/11/4 عندما حاولت السلطة الرجعية في الأردن ضرب العمل الفدائي بأسلوب ذكي تحت ستار ضرب إحدى التنظيمات الفدائية. لقد وقفت الجبهة الشعبية هنا موقفاً حاسماً وقادت المعركة وكشفت المواقف المتذبذبة للتنظيمات الوسطية، والتفت حولها الجماهير، ورغم بعض الثغرات في المواقف فإن الجبهة قد حققت نصراً في إحباط مخطط الرجعية. إننا سنواجه مثل هذه المواقف بين وقت وآخر أثناء المسيرة الثورية الطويلة كالتي نحن أمامها في الساحة الفلسطينية. وهذه هي المناسبات لأخذ زمام القيادة من هذه الطبقة وتعبيراتها السياسية.

إن حسم موضوع القيادة الطبقية في الساحة الفلسطينية لن يكون موضوعاً سهلاً، ولن يتحقق في فترة قصيرة، ولا يجوز أن يتخذ شكل صراع دائم حول القيادة بمناسبة أو غير مناسبة. إنه من الخطأ ان نتصور الأمر تصوراً مثالياً. إن موضوع حسم القيادة الطبقية في الساحة الفلسطينية لمصلحة العمال والفلاحين والطبقات الفقيرة سيتخذ وقتاً طويلاً، ويجب أن يتم دون أن يؤثر على توجهنا ضد التناقض الرئيسي، وفي الوقت الذي تستطيع فيه الجماهير أن تبرر وتفهم حيثيات وأسباب هذا الصراع .

أما الصراع اللفظي المجرد، بمناسبة أو غير مناسبة، وبشكل لا تستطيع الجماهير أن تبرره وبأسلوب يجعل هذا التناقض طاغياً على التناقض الأساسي، أو ينسينا أن هذه الطبقة هي حليف لنا في الثورة فإن ذلك قد يحرف المعركة ويجعلنا نخسر بذلك موقع القيادة فيها.

إن الأساس في رؤيتنا لقوى الثورة على الصعيد الفلسطيني هو الإدراك بأن العمال والفلاحين هم أداة الثورة الأساسية. وأن إستراتيجية الثورة ومواقفها ونظريتها و طبيعة تنظيمها يجب أن تكون فكر ونظرية ومواقف الطبقة العاملة. وإننا عندما ندرك ذلك بعمق ووضوح، ونعمل على أساسه، فإن القيادة السياسية الكفؤة هي التي تستطيع بعد ذلك- في مرحلة التحرر الوطني- أن تربح البرجوازية الصغيرة كحليف أساسي لها وفق برنامج الطبقة العاملة وليس وفق برنامج البرجوازية الصغيرة.

إن التحالف في الوقت المناسب على ضوء برنامج، والصراع في الوقت المناسب حول موقف أو قضية ملموسة هو الطريق لحسم موضوع القيادة في الساحة الفلسطينية لمصلحة أبناء المخيمات، مع ضرورة توفر تصور واقعي وجدلي وغير مثالي للفترة والطريقة التي يتطلبها مثل هذا الحسم.

إن وجود البرجوازية الصغيرة على رأس الحركة الوطنية الفلسطينية اليوم يجب أن نفهمه فهماً موضوعياً وبدون هذا الفهم يصعب صعود الطبقة العاملة على رأس القيادة بنجاح. إن وجود الطبقة البرجوازية الصغيرة على رأس الحركة الوطنية الفلسطينية سببه

أولاً : إن هذه الطبقة تعتبر في مراحل التحرر الوطني من طبقات الثورة، ثانياً:إنها ضخمة العدد نسبياً وثالثاً: إنها هي التي تتمتع بحكم أوضاعها الطبقية بالعلم والمقدرة، وبالتالي ففي ظل عدم تبلور أوضاع الطبقة العاملة – وعياً وتنظيماً – فإنه من الطبيعي ان تكون البرجوازية الصغيرة على رأس تحالف الطبقات المعادية لإسرائيل والامبريالية والرجعية العربية. نضيف لكل ذلك خصوصية البرجوازية الفلسطينية الصغيرة والفارق بين وضعها وبين وضع البرجوازية الصغيرة العربية التي تقف على رأس الأنظمة العربية الوطنية. فالبرجوازية الفلسطينية الصغيرة رفعت شعار الكفاح المسلح وتقوده الآن، كما أن عدم وجودها في السلطة يجعلها أكثر ثورية من البرجوازية الصغيرة العربية التي تريد المحافظة على مصالحها وبقائها في السلطة عن طريق تجنب الصراع الحاسم والطويل مع المعسكر المعادي .

إذا أخذنا كل هذه النقاط بعين الاعتبار فإن صعود طبقة العمال وإستراتيجيتها الجذرية الحاسمة هي وحدها القادرة على مواجهة معسكر الخصم وإن القيادة العمالية الكفؤة هي التي تكون قادرة بتكتيكها العلمي أن تقود إلى جانبها في هذا الصراع طبقة البرجوازية الصغيرة دون أن تكون هذه الطبقة العاملة في موقع القيادة ودون أن تميع فكر الثورة وإستراتيجيتها وبرامجها ن خلال فكرها وإستراتيجيتها المتذبذبة وغير الحاسمة .

البرجوازية الفلسطينية الكبيرة

إن البرجوازية الفلسطينية الكبيرة هي في الأساس برجوازية تجارية ومصرفية تتشابك مصالحها وتترابط مع مصالح الامبريالية التجارية ومصالحها المصرفية.إن أساس ثروة هذه الطبقة ومصدر غناها هو سمسرتها للبضائع الأجنبية ووكالات التأمين والمصارف الأجنبية. وبالتالي فهي في المدى الاستراتيجي ضد الثورة التي تريد القضاء على الامبريالية ووجودها ومصالحها في وطننا. إن القضاء على الامبريالية معناه القضاء على ثرواتها، وبما أن معركتنا ضد إسرائيل هي في الوقت نفسه معركة ضد الامبريالية فإن هذه الطبقة ستقف مع مصالحها، أي مع الامبريالية وضد الثورة .

من الطبيعي أن لا يكون هذا التحليل الاستراتيجي واضحاً تماماً لدى الجميع. ومن الطبيعي أن تتداخل معه مواقف تكتيكية ومواقف مؤقتة، وكذلك بعض الاستثناءات. ولكن ذلك لا يجوز أن يغيب عن أعيننا الرؤية الإستراتيجية البعيدة المدى للأمور وللصورة العامة .

على أي أساس علمي يمكن القول بان كل طبقات الشعب الفلسطيني هي من قوى الثورة؟ إن ثورتنا اليوم هي ثورة مسلحة فهل كل طبقات الشعب الفلسطيني هي ضمن قوى هذه الثورة المسلحة ؟

بعد الخامس من حزيران كان شباب المخيمات والقرى يحملون السلاح ويختبئون في الجبال ويتحصنون في المدن، يوجهون الرصاص لصدر إسرائيل ويتلقون رصاص إسرائيل في صدورهم. وفي هذا الوقت بالذات كان القيادات البرجوازية التقليدية تستقبل ساسون وديان والحكام الإسرائيليين وتبحث معهم في موضوع الكيان الفلسطيني الذي كانت إسرائيل تخطط له لتصفية القضية الفلسطينية وتحقيق النصر السياسي بعد أن حققت نصرها العسكري، ولقد كادت تلك المحاولات أن تنجح لولا تصاعد العمل الفدائي وإحباطه لها. وفي تلك الفترة كان أبناء المخيمات يطعمون الموت لإسرائيل ويتلقون الموت منها، بينما كان التجار في الضفة الغربية يفتشون عن ربط مصالحهم من جديد مع دولة الأعداء .

هل يصح إذن بعد هذا كله أن نسمح بترديد عبارات "كلنا فدائيون" و "الشعب الفلسطيني بكل طبقاته يخوض معركة الكفاح المسلح" و"لا أغنياء ولا فقراء ما دنا مشردين عن الأرض" دون أن تتصدى لمحاكمتها وتعريضها للنقد وردع انتشارها ؟

إن الثورة علم. والفكر العلمي يفتش عن الحقائق الواقعية الملموسة. ولن ننخدع بالشعارات والعبارات التمويهية المضللة المناقضة للحقيقة التي تطلقها بعض القوى الطبقة دفاعاً ذاتياً عن أوضاعها حتى لو كانت خاطئة علمياً ومضللة .

إن البرجوازية الفلسطينية الكبيرة التي تعيش الآن في فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني– وإن لم تكن قد انضمت بشكل ساخر لإسرائيل– إلا أنها في الوقت نفسه ليست قوة من قوى الثورة وهي تبقى موضوعياً القوة الطبقية التي من خلالها سيحاول الأعداء دائما إجهاض الثورة وإيقافها في منتصف الطريق.

أما البرجوازية الفلسطينية التي تعيش الآن خارج فلسطين فإن مصالحها– حالياً– لا تتعارض مع العمل الفدائي طالما أن العمل الفدائي في هذه المرحلة يعيش إجمالاً ضمن آفاق نظرية وسياسية وقتالية معينة، وبالتالي فإنها تساند العمل الفدائي أحياناً بجزء بسيط من فائض ثرواتها. ولكننا لا بد أن نتوقع أن النمو الثوري للحركة الوطنية الفلسطينية إلى المستوى الذي يضعها في تصادم واضح مع الامبريالية، سيجعل هذه البرجوازية تتخذ المواقف الذي يتطابق موضوعياً مع مصالحها الطبقية .

إننا بطبيعة الحال نعترف أن قطاعات معينة من هذه البرجوازية قد تشذ عن القاعدة، وأنها بحكم خصوصية القضية الفلسطينية إلى المستوى الذي يضعها في تصادم واضح مع الامبريالية، سيجعل هذه البرجوازية تتخذ الموقف الذي يتطابق موضوعياً مع مصالحها الطبقية .

إننا بطبيعة الحال نعترف إن قطاعات معينة من هذه البرجوازية قد تشذ عن القاعدة، وإنها بحكم خصوصية القضية الفلسطينية، قد تبقى إلى جانب الثورة ولن تعمل ضدها، ولكن لا يجوز لهذه الاستثناءات أن تغيب عن عيوننا القانون العام الذي سيحكم موقع هذه الطبقة من الثورة بشكل عام .

إن القول بضرورة الإفادة من كل قوة يمكن أن تساعد الثورة بشكل مؤقت هو قول سليم، كذلك القول بأن القيادة الكفؤة هي التي تجند أوسع جبهة ممكنة للوقوف في وجه التناقض الأساسي ويجب أن نعمل على هذا الأساس شرط ان لا يكون ذلك على حساب وضوح فكرنا السياسي. فالفكر السياسي الواضح هو السبيل الوحيد لتعبئة وحشد قوى الثورة الحقيقة. وإن حشد وتعبئة قوى الثورة الحقيقة على ضوء فكر سياسي علمي واضح هو الشرط الأساسي للنجاح، وهو– لنجاح الثورة – أهم من كل المساعدات المالية إذا كان ثمن هذه المساعدات تمييع الرؤية الواضحة للأمور.

على ضوء ذلك يمكننا الآن تصور قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني تصوراً كاملاً.

إن قوى الثورة، هم العمال والفلاحين، أبناء المخيمات والقرى والأحياء الفقيرة من المدن– متحالفين مع البرجوازية الفلسطينية الصغيرة التي تشكل أيضاً قوة من قوى الثورة ورغم ما يحمله هذا التحالف من تناقض فكري واستراتيجي لا بد من العمل على حسمه لمصلحة قيادة العمال وفكرهم وإستراتيجيتهم مستفيدين من أي قطاع من البرجوازية الفلسطينية الكبيرة – ولو إفادة مؤقتة– دون أن يؤدي هذا التحالف وهذه الإفادة إلى أي غموض يتعلق برؤية قوى الثورة الحقيقية ووضح إستراتيجيتها وبرامجها .

إن البرجوازية الكبيرة لا تشكل عددياً سوى نسبة ضئيلة جداً من المجتمع. فالمجتمع البرجوازي الكبير هو مجتمع النصف بالمئة أو الواحد بالمئة كما هو معروف. كما أن هذه الطبقة ليست هي الطبقة التي تحمل السلاح أو التي لديها الاستعداد للقتال والموت دفاعاً عن حرية الوطن وحرية الشعب، وبالتالي فإن أية محاولة لتصوير هذا التحليل الطبقي لقوى الثورة بأنه بعثرة وتشتيت لقوى الأمة وزجها في صراع داخلي ليس قولا علمياً صحيحاً. إن الثورة – على ضوء هذا التحليل– لا تخسر قوة قتالية فاعلة، وإنما تربح بالمقابل وضوح الرؤية وتحديد مواقع القوى بشكل سليم، ووضع الطبقات الفقيرة أمام مسؤوليتها في قيادة الثورة وبالتالي خوض معركة وطنية قومية تقف فيها جماهير الشعب بغالبيتها الساحقة في وجه إسرائيل والاستعمار والرجعية بقيادة الفقراء، الذين وضعتهم الرجعية العربية في حالة البؤس والشقاء والفقر التي يعانون منها في كل يوم والتي تفقدهم إنسانيتهم وقيمة حياتهم.

الصيغة التنظيمية لتعبئة قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني

ما هي الصيغة التنظيمية لتعبئة قوى الثورة على ضوء هذا التحليل؟ وما هي صيغة العلاقات بين هذه القوى على ضوء الواقع الفلسطيني القائم؟ وما هو فهمنا للوحدة الوطنية الفلسطينية على ضوء ذلك كله؟
إن التنظيم السياسي المتسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية هو الصيغة الأعلى لتنظيم وتعبئة قوى الطبقة العاملة وحشدها لأعلى مستوى. إن هذه الحقيقة هي التي بينتها بكل وضوح كافة التجارب الثورية التي شهدها هذا القرن. إن تجربة الصين، فيتنام، وكوبا، وكذلك تجربة ثورة أكتوبر نفسها، كلها تبرز وتؤكد هذه الحقيقة .

إن النظرية الاشتراكية العلمية بتوضيحها وتفسيرها العلمي لحالة البؤس التي تعيشها الطبقة العاملة، وتبيانها لعملية الاستغلال التي يمارسها الاستعمار وتمارسها الرأسمالية لهذه الطبقة، وبتوضيحها لطبيعة التناقض الرئيسي الذي تعيشه مجتمعات هذا العصر على الصعيد العالمي والمحلي وبتوضيحها لحركة التاريخ واتجاهها، وبتحديدها كذلك لدور الطبقة العاملة وأهمية هذا الدور، وتبيانها للأسلحة التي تملكها هذه الطبقة، إن النظرية الاشتراكية العلمية هي التي تجعل الطبقة العاملة واعية وجودها وأوضاعها، ومستقبلها، وبالتالي قادرة على حشد قوى هذه الطبقة إلى أعلى الحدود.

كما أن الفكر الاشتراكي العلمي، والتجارب الثورية العالمية هي التي أوضحت بكل جلاء كيف أن التنظيم السياسي الثوري المتسلح بالنظرية الثورية، نظرية الطبقة العاملة، هو الطريق لتنظيم الطبقة العاملة لنفسها وحشدها لقواها، وتوحيد طاقاتها، وتحديد إستراتيجيتها في معركتها. وإذا كانت تجارب الحركة الفلسطينية والعربية لم تنجح حتى الآن في التصدي والانتصار على الامبريالية والصهيونية وإسرائيل والقوى الرجعية فالسبب في ذلك أنها لم تأخذ هذا التنظيم.إن فشل التنظيمات السياسية في الساحة الفلسطينية والعربية لا يشكل إدانة للتنظيم السياسي الحزبي بشكل عام، بل يشكل إدانة لخط من التنظيمات السياسية لم تقم من الناحية الإيديولوجية والطبقية والتنظيمية على أساس هذه النظرية وعلى هذه التجارب وعملية الارتقاء الثوري بالحركة الوطنية الفلسطينية لا يمكن أن تقوم على إدانة فكرة التنظيم السياسي الثوري من حيث المبدأ، وإنما طريقها الوحيد هو أن تأخذ بالتنظيم السياسي الذي تحددت طبيعته على ضوء النظرية الاشتراكية العلمية والتجارب.

إن هذه الصيغة التنظيمية هي الإطار التنظيمي لحشد القوة الأساسية من قوى الثورة وهي طبقة العمال. وليس ذلك فحسب، بل إن هذه الصيغة–في مراحل التحرر الوطني كما أثبتت التجارب الثورية الكبرى– هي كذلك الصيغة القادرة على تعبئة قوى الفلاحين وحشدها إلى أعلى مستوى .

وبالتالي فإننا من خلال هذه الصيغة نكون قد أوجدنا الإطار لتعبئة وتنظيم طبقات الثورة الأساسية المتمثلة بالعمال والفلاحين.

ولكن، ماذا عن البرجوازية الصغيرة؟ إن البرجوازية الصغيرة هي كذلك،وفق تحليلنا، قوة من قوى الثورة فهل نستطيع تجنيدها من خلال هذا الإطار؟ وإذا كان الجواب سلباً فما هو الإطار التنظيمي الذي يمكن من خلاله تجميع وحشد كافة قوى الثورة ؟

إن البرجوازية الفلسطينية الصغيرة لن تنتظم بغالبيتها ضمن هذا الإطار التنظيمي الذي يقوم على أساس التنظيم السياسي المتسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية. إن الفكر الاشتراكي للثورة ليس فكر هذه الطبقة. والتنظيم الحزبي القوي الملتزم والمنضبط ليس هو الصيغة التنظيمية التي ترتاح لها. إن البرجوازية الصغيرة تفضل الالتزام بفكر تحرري عام لا يتجاوز الشعارات التحررية العامة، وبتنظيم سياسي مائع لا يتطلب منها ما هو فوق طاقتها، وبالتالي فإن البرجوازية الصغيرة لن تنتظم ضمن هذه الصيغة. بل إنها ستقبل على التنظيمات الفلسطينية الأخرى التي لا تتبنى بوضوح النظرية الاشتراكية العالمية والتنظيم السياسي الحزبي الثوري الملتزم بها، وعلى ضوء ذلك فإن الصيغة التنظيمية الكاملة القادرة على استيعاب كافة قوى الثورة هي صيغة التنظيم السياسي الحزبي الملتزم بالاشتراكية العلمية القادرة على تعبئة العمال والفلاحين إلى المستوى الأعلى، والمنادى في الوقت نفسه بقيام جبهة وطنية من خلالها يتم التحالف بين العمال والفلاحين– طبقات الثورة الأساسية وعمادها – وبين البرجوازية الصغيرة كقوة من قوى الثورة .

بهذا يكتمل تصورنا لقوى الثورة فلسطينياً والصيغة التنظيمية القادرة على تعبئتها.

وفي رأينا أن هذه الصيغة هي التي تتلاءم كلياً مع التحليل العلمي للأمور وهي التي تتطابق كذلك موضوعياً مع مصلحة الثورة. فمن خلال هذه الصيغة تتوفر الرؤية الواضحة للمعركة من ناحية، وتتوفر أعلى تعبئة لقوى الثورة الأساسية، وفي الوقت نفسه تتوفر أعرض جبهة ممكنة للوقوف في وجه معسكر الخصم.

إن الجبهة الوطنية العريضة المقترحة على ضوء هذا التصور هي في رأينا التحقيق الثوري للوحدة الوطنية الفلسطينية. فإذا كان المقصود بالوحدة الوطنية الفلسطينية تجميع كافة قوى الثورة في مرحلة التحرر الوطني

الديمقراطي للوقوف في وجه التناقض الأساسي متمثلاً بإسرائيل والاستعمار والرجعية فإن هذه الصيغة هي التي تحقق هذا الهدف أن هذه الطبقات الثلاثة الملتقية ضمن صيغة الجبهة تمثل – حتى من الناحية العددية – الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني. أما الوحدة الوطنية التي ينادي بها البعض والتي يقصد منها تسلل القيادات التقليدية والبرجوازية الكبيرة والرجعية إلى صفوف الثورة، والتي يقصد منها كذلك ضرب فكرة التنظيم السياسي فإنه من الواضح أنها لا تخدم مصلحة الثورة.

مما تقدم تتضح الخطوط الأساسية لموقفنا من موضوع العلاقات بين القوى الفلسطينية وعلى ضوء هذه الخطوط نستطيع أن نحدد مواقفنا من كافة المواضيع والمشكلات التي تطرح نفسها على هذا الصعيد، وعلى ضوء هذه الخطوط أيضاً يتضح موقفنا من الصورة القائمة في الساحة الفلسطينية وبأي اتجاه سنبذل جهودنا لإقامة علاقات موضوعية بين قوى الثورة الفلسطينية وتنظيماتها:

1- إننا نعتبر الوحدة الوطنية الفلسطينية أمراً أساسياً لتعبئة كافة قوى الثورة للتصدي لمعسكر الخصم وعلى هذا الأساس فإننا يجب أن نتخذ موقفاً فعالاً في هذا الاتجاه.
2- إن صيغة الوحدة الوطنية هي قيام جبهة تتمثل فيها كافة طبقات الثورة – العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة.
3- يجب أن ننشط باتجاه تعبئة العمال والفلاحين في تنظيم سياسي ثوري واحد متسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية. وعلى هذا الأساس يجب السعي الفاعل لتوحيد كافة التنظيمات الفلسطينية اليسارية التي يمكن من خلال الحوار والتجربة ان تلتزم بهذا التحليل .
4- إن البرجوازية الصغيرة لن تنتظم في هذه الصيغة التنظيمية الملتزمة بالاشتراكية العلمية والتنظيم السياسي القوي، وبالتالي فإنها ستنتظم ضمن التنظيمات الفلسطينية التي تكتفي بالشعارات التحررية العامة والتي تتجنب الوضوح الفكري والطبقي والتي تعيش حياة تنظيمية لا تلزمها بما هو فوق طاقتها، وبعبارة أخرى فإن هذه الطبقة ستملأ منظمة"فتح" ومنظمة التحرير الفلسطينية بالدرجة الأولى.
5- على هذا الأساس، وعلى أساس رؤيتنا للتناقض الأساسي، وطبيعة المرحلة، وضرورة الوحدة الوطنية التي تجمع كافة قوى الثورة للوقوف في وجه إسرائيل، فإننا يجب أن نعمل على إقامة جبهة وطنية مع فتح والمنظمة توفر للمعركة تحالفها الطبقي اللازم من ناحية، وتحافظ لكل طبقة على حقها في رؤية المعركة والتخطيط لها وفق أفقها الطبقي من ناحية ثانية.

هذه هي رؤيتنا لقوى الثورة الفلسطينية وصيغة تعبئتها وحشدها.

إن صيغة العلاقات التي نطرحها هنا بين القوى الفلسطينية الأساسي تحدد الخط الاستراتيجي العام الذي سيحكم توجهنا. ومن الواضح أننا في توجهنا باتجاه هذا الخط سنواجه تعرجات كثيرة وتشابكات كثيرة تفرض علينا تكتيكياً أن نحدد في كل فترة صورة تفصيلية بقدر الإمكان تتناسب مع طبيعة الفترة، وطبيعة أوضاع القوى الفلسطينية المتعددة التي تكون قائمة وفعالة في كل وقت من الأوقات.

والآن..هل يقف تفكيرنا الاستراتيجي لمعركة تحرير فلسطين عند حدود الشعب الفلسطيني والساحة الفلسطينية .

إننا إذا تذكرنا معسكر الخصم وحجمه وطبيعته، ندرك فوراً أن أي تفكير استراتيجي بمعركة التحرير الفلسطينية يجب أن يشمل تعبئة كافة قوى الثورة على الصعيد العربي والعالمي، إذ أننا بمثل هذا الحشد والتعبئة يمكننا فقط توفير القوة القادرة على التصدي لإسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية والرجعية العربية.

أما حصر الثورة الفلسطينية ضمن حدود الشعب الفلسطيني فمعناه الفشل إذا تذكرنا طبيعة التحالف المعادي الذي نواجهه. إن الثورة الفلسطينية، المتلاحمة مع الثورة العربية، والمتحالفة مع الثورة العالمية هي وحدها القادرة على تحقيق الانتصار.

قوى الثورة على الصعيد العربي

وصيغة العلاقات بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني والقوى العربية

ان تعبئة وحشد قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني – حتى من خلال تنظيم سياسي يلتزم بالاشتراكية العلمية ويعمل على هديها ويعبئ الطبقات المسحوقة على أعلى حد ويتحد جبهوياً مع البرجوازية الصغيرة – كل ذلك لا يكفي لإيجاد المعسكر الثوري الذي يستطيع التفوق على المسكر المعادي والمكون من جبهة عريضة وقوية تضم إسرائيل والحركة الصهيونية والامبريالية ومعها الرجعية العربية.

إن إستراتيجية معركة التحرير الفلسطينية تتطلب تعبئة وجهود كافة قوى الثورة في البلدان العربية بوجه عام وفي الأقطار العربية المحيطة بإسرائيل بوجه خاص. ومن هنا تأكيد الجبهة الشعبية ترابط القضية الفلسطينية بالقضية العربية، وضرورة التلاحم بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية، وبالتالي ضرورة التلاحم بين حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية. ومن هنا كذلك ضرورة التأكيد الاستراتيجي على شعار "هانوي العربية" كقاعدة ثورية تحدث التلاحم بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية وتشكل قاعدة متينة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي تستطيع الصمود أمام معسكر العدو ومواجهته وتحقيق التفوق عليه .

ومع أننا لا نقول بأن تعبئة قوى الثورة في الساحة العربية هي مهمة مباشرة من مهمات الثورة الفلسطينية، إلا إننا نستطيع القول بان مصير الثورة الفلسطينية ومصير المقاومة المسلحة –العمل الفدائي– التي يقوم بها حالياً الشعب الفلسطيني رهن بمدى تلاحمها مع إستراتيجية ثورية تستهدف حشد قوى الثورة في ساحة الأردن ولبنان وسورية والعراق ومصر وبقية الأقطار العربية. إن أزمة المقاومة الفلسطينية ليست ناتجة فقط عن عدم اكتمالها لكافة الشروط الإيديولوجية والإستراتيجية والتنظيمية، المفروض توفرها لحركات التحرر الوطني المنتصرة في هذا العصر، وإنما تكمن أزمتها، التي ستبقى تشكل مقتلاً لها، في أن هذه المقاومة تعيش في ظل ظروف عربية معرقلة لها، تسلط على رأسها سيف التصفية للقضية عن طريق تنفيذ قرار مجلس الأمن، بدلاً من أن تشكل سندا ثورياً يشد أزرها ويوسع رقعتها ويضاعف قواها.

على ضوء ذلك فإن إستراتيجية تحرير فلسطين، باعتبارها معركة ضد إسرائيل والصهيونية والامبريالية والرجعية العربية، تتطلب إستراتيجية ثورية فلسطينية متلاحمة مع إستراتيجية ثورية عربية.

إن القتال المسلح ضد إسرائيل وكافة مصالح الاستعمار في وطننا، وامتداد جبهة الكفاح المسلح التي تتصدى للرجعية العربية وكافة مصالح وقواعد الامبريالية في الوطن العربي، والإطباق على إسرائيل بإستراتيجية حرب التحرير الشعبية من كل جهة – من سورية ومصر ولبنان والأردن وداخل الأرض المحتلة قبل 5 حزيران وبعد 5 حزيران – هو طريقنا الوحيد الذي يؤدي إلى النصر. ليس المهم أن يسجل الشعب الفلسطيني موقفاً بطولياً من خلال العمل الفدائي، إنما المهم هو التحرير والنصر. وطريق التحرير، على ضوء تحديدنا لمعسكر الخصم، هو جبهة فلسطينية عربية ثورية تنضج العمل الفدائي وتحميه وتسانده وتمهد الطريق لامتداده حتى يشمل إسرائيل من كافة جوانبها وحتى يشمل كافة القوى المعادية التي تمد إسرائيل بالإسناد والحماية.

إن إستراتيجية العمل العربي الثوري تتطابق في خطوطها العريضة مع إستراتيجية العمل الثوري الفلسطيني. وإن أساس هذا التطابق هو تطابق طبيعة المرحلة التي تمر بها الأقطار العربي ففي ظل احتلال إسرائيل لسيناء والجولان، وفي ظل وجود إسرائيل وبقائها ركيزة ينطلق منها الاستعمار لضرب كل بادرة تحررية عربية، في ظل هذه الصورة الموضوعية، فإن المرحلة التي تعيشها الأمة العربية اليوم رغم التحولات الطبقية والاقتصادية التي حدثت في مصر وسورية والجزائر والعراق باتجاه التحول الاشتراكي – هي مرحلة التحرر الوطني، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية.

إن إستراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية في هذا العصر أصبحت واضحة من خلال التجربة الفيتنامية وقبلها التجربة الكوبية والصينية.

إن خطوط هذه الإستراتيجية هي: تعبئة وحشد قوى العمال والفلاحين الفقراء إلى أعلى مستوى، وقيادة هذه الطبقات للثورة من خال تنظيم سياسي يلتزم النظرية الاشتراكية العلمية ويهتدي بها، متحالفاً مع قوى البرجوازية الصغيرة التي لا تعارض مصالحها مع طبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية، ومعتمداً أسلوب الكفاح المسلح، متغلباً على تفوق الخصم التكنولوجي عن طريق الحرب الطويلة المدى التي تبدأ القتال بأسلوب حرب العصابات وتتطور إلى حرب تحرير شعبية مصممة على الانتصار .

إن حركة التحرر الوطني في الأقطار العربية لم تتبلور حتى الآن وفق هذه الخطوط، ولكن نمو المقاومة الفلسطينية المسلحة وما تفرزه من ضغوطات وحالة شعبية جماهيرية واحتدام في طبيعة الصدام بين إسرائيل من ناحية والبلدان العربية المحيطة بها من ناحية ثانية ستخلق الظروف الموضوعية التي تمهد وتساعد على ولادة ونمو حركة التحرر الوطني التي تلتزم هذه الإستراتيجية بقيادة العمال والفلاحين. ومن

خلال تحالف حركة التحرر الوطني الفلسطيني مع حركة التحرر العربية ثم تلاحمها معها تنبثق القوة الفلسطينية العربية والإستراتيجية الفلسطينية العربية التي تستطيع الانتصار في معركة قاسية وطويلة تفرضها طبيعة الخصم الذي نواجهه.

يبقى أن تحدد حركة التحرر الوطني الفلسطينية علاقاتها العربية على ضوء الظروف القائمة الآن في الساحة العربية.

إن الرأسمالية العربية والإقطاع ما زالت حتى الآن هي القوة الطبقية الحاكمة في بعض البلدان العربي. وإن حكم هذه القوى الطبقية تتمثل الآن في الأنظمة الرجعية في الأردن ولبنان وبعض البلدان العربية الأخرى. إن هذه الأنظمة ترتبط مصلحياً مع الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة. ورغم التناقض الجزئي والشكلي أحياناً القائم بين هذه الأنظمة من ناحية وإسرائيل من ناحية ثانية، إلا أن هذا التناقض الجزئي يقوم في ظل لقاء موضوعي مع الرأسمالية العالمية. ومن هنا فإن علاقة الكفاح المسلح- الفلسطيني حالياً، والعربي مستقبلاً – هي في المدى الاستراتيجي علاقة تصادم مع هذه الأنظمة رغم أية مواقف تكتيكية تفرضها،على الجانبين اعتبارات مؤقتة.

هذا عن علاقة حركة التحرر الوطني بالأنظمة الرأسمالية والرجعية غير أن الموقف الدقيق الذي يواجهه الكفاح المسلح الفلسطيني وتواجهه حركة التحرر الوطني الفلسطينية هو تحديد علاقاتها مع الأنظمة الوطنية في الساحة العربية، وخاصة مع الأنظمة الوطنية المحيطة بإسرائيل أو القريبة من ميدان التصادم- نعني بذلك مصر وسورية والعراق.

إن أي تقييم ثوري جريء لهذه الأنظمة يجب أن يكون محوره الأساسي هزيمة حزيران ونتائجها ومعانيها. وكذلك ما تلا هذه هزيمة من إستراتيجية وبرامج ومواقف. وإن أية محاولة لتمييع او تبهيت او تشويش الرؤية الواضحة لهذه الهزيمة ومعانيها ودروسها لا يمكن الا أن تكون مصلحية مغرضة أو رؤية مثالية عاطفية بعيدة عن العلمية والموضوعية والصراحة الجريئة في رؤية الأمور .

لقد أدت هزيمة حزيران إلى احتلال فلسطين بكاملها وكذلك الجولان وسيناء، وإلى تشريد مئات الألوف من المواطنين وإلى طعن كرامة أمة بكاملها. وبالتالي فإن الموقف الثوري هو الموقف الذي لا يمكن أن يجامل أو يساوم أو يميع الرؤية الواضحة للأمور التي من خلالها فقط نستطيع فهم هزيمة حزيران أو

تحليلها وبالتالي رؤية الإستراتيجية السياسية والعسكرية التي من خلالها نضمن الصمود والانتصار في المعركة .

إن الجماهير الفلسطينية والعربية، وكذلك الأحزاب والتنظيمات الوطنية العربية، كانت ترى في هذه الأنظمة أنظمة تقدمية ثورية يمكن الوصول عبرها إلى تحرير فلسطين وأهداف الجماهير. وعندما بدأت بوادر حرب حزيران لم تكن هذه الجماهير، وهذه القوى تتوارى عن هزيمة من نمط ما حدث في حزيران. ولقد أتت هزيمة حزيران لتؤكد الخطأ الكبير الذي كان قائماً في رؤية الأمور. ولقد كان هناك خطأ في معرفة الخصم وتحديده بوضوح وتقييم مخططاته وتحديد كافة فصائله وقدرات كل فصيل من هذه الفصائل. كما كان هناك خطأ في تحديد المرحلة، وخطأ أكبر في تقييم كل الوجود الثوري الذي مثلته هذه الأنظمة الوطنية والتنظيمات والمؤسسات الوطنية العربية .

ما هو التقييم العلمي السليم لهذه الأنظمة ؟

بعد الحرب العالمية الأولى واحتلال فرنسا وبريطانيا للعراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين، وتثبيت أقدام هذه الدولة الاستعمارية في مصر والأجزاء الأخرى من الوطن العربي كانت حركة التحرر الوطنية التي تخوضها الجماهير العربية ضد الاستعمار بقيادة أبناء الأسر الإقطاعية والارستقراطية والبرجوازية الكبيرة متمثلة بقيادة الحاج أمين الحسيني والحزب العربي في فلسطين وقيادة شكري القوتلي والحزب الوطني في سورية، ونفس هذا النمط من القيادات في البلدان العربية الأخرى. وحتى الثورات المسلحة التي خاضتها جماهير شعبنا ضد قوات الاحتلال، كانت تحت القيادة السياسية للبرجوازية الكبيرة. وعندما اتضح للجماهير من خلال الأحداث والمسيرة إن هذه الطبقة لا تستهدف من وراء صراعها مع الاستعمار أقصى من الوصول إلى استقلالات شكلية تضعها على رأس السلطة بحيث تصبح شريكة للاستعمار في استغلاله لكدح الجماهير، فتأخذ نصيبها من أرباح الاستثمارات الرأسمالية في وطننا، ضاربة عرض الحائط بالشعارات التحررية والوحدوية التي دفعت الجماهير دماءها ثمناً لها. عندما اتضح كل ذلك أمام الجماهير بدأ التناقض يحتدم بين هذه القيادات الإقطاعية والارستقراطية والبرجوازية وأحزابها السياسية وبين حركة الجماهير. ولقد قاد الجماهير في هذه المرحلة الجديدة من الصراع مجموعات من المثقفين والمهنيين والضباط الأحرار الذين ينتمون إجمالاً إلى طبقة البرجوازية الصغيرة ويتحركون بالدرجة الأولى من خلالها. كانت البرجوازية الصغيرة طبقة صاعدة وبالتالي هي التي قادت الجماهير في صراعها مع البرجوازية الكبيرة والإقطاع والمتحالفين مباشرة أو غير مباشرة مع الرأسمالية الاستعمارية وفي نهاية

الثلاثينات وبداية الأربعينات اتخذت هذه المحاولات شكل أحزاب وتنظيمات سياسي وعسكرية، عربية ومحلية.

وفي عام 1948 قامت إسرائيل ووقعت النكبة فانفضحت أمام كل الجماهير حقيقة الأنظمة الاستقلالية الشكلية التي أقامتها البرجوازية الكبيرة وانفضح عجزها أمام إسرائيل وتناقضها الجذري مع أهداف الجماهير. وبالتالي فإن نكبة 1948 مهدت بكل ذلك لسقوط بعض هذه الأنظمة وتسلم السلطة من قبل التنظيمات الوطنية –العسكرية والسياسية– التي قادتها عناصر وطنية من أبناء الطبقة البرجوازية الصغيرة، والتي كانت على وجه الإجمال تتشكل من أبناء هذه الطبقة وتعمل في وسطها وتعتمد عليها بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى اعتمادها على الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين الذين التفوا حول هذه التنظيمات الجديدة والأوضاع الجديدة بحكم تصديها للتحالف الرجعي: تحالف الاستعمار والإقطاع والرأسمالية.

ولاشك أن الوضع الدولي الذي نتج عن الحرب العالمية الثانية متمثلاً بانتصار الاتحاد السوفيتي وبروز مجموعة دول أوروبا الاشتراكية كان عاملاً أساسياً في ظهور هذه الأنظمة العربية الجيدة وفي قدرتها على الحياة .

وهكذا تبلور التناقض الأساسي في المنطقة بالشكل التالي: تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة بقيادة البرجوازية الصغيرة ضد الاستعمار والرجعية العربية وإسرائيل.

ولقد كان أول نظام وطني في الساحة العربية قام على أساس هذه الصورة هو نظام عبد الناصر في مصر، ثم امتدت لتشمل سورية والعراق والجزائر واليمن الجنوبية الشعبية. ولقد كان نظام عبد الناصر وما زال هو المثل الواضح والأكثر تبلوراً لهذه الصورة.

وفي أية عملية تقييم تاريخية لهذه الأنظمة وما مثلته في الساحة العربية خال الخمسينات وحتى حزيران 1967 ، لا يجوز أن تغيب عن أعيننا مجموعة الإنجازات الثورية الكبرى التي حققتها هذه الأنظمة ونظام عبد الناصر بشكل خاص. فقد استطاع هذه النظام أن يتخلص من قوات الاحتلال البريطانية التي كانت تعسكر في منطقة قناة السويس، وخاض حرباً ضد كافة مشاريع الأحلاف الاستعمارية التي من خلالها حاول الاستعمار أن يعود للمنطقة بحجة مواثيق دفاعية ضد الخطر السوفيتي، وأطاح بالتحالف الاستعماري الرجعي الذي كان يتحكم بمصر وجماهيرها ومقدراتها، وكسر طوق الحصار الذي كان

يضربه الاستعمار حول المنطقة، وأقام علاقات عسكرية وسياسية واقتصادية مع المعسكر الاشتراكي، ووضع العمل الوطني المصري ضمن أفقه وإطاره القومي العربي، وأقام أول إنجاز وحدوي في تاريخ العرب الحديث وربط بين القضية التحررية السياسية والقضية الاجتماعية، فأحدث إصلاحاً زراعياً تناول ملكية الأرض والعلاقات الزراعية، وأمم المشاريع الصناعية والتجارية الكبرى، ووضع مشاريع التنمية على أساس الملكية العامة ودفع مصر في طريق التحول الاشتراكي، كما أرفق كل هذه التحولات بتحولات متطابقة على صعيد الفكر الثوري فارتفع بفكر الثورة من حيز الشعارات التحررية والوحدوية والاشتراكية العامة إلى بداية الرؤية الطبقية لقوى الثورة وبداية اعتماد النهج الاشتراكي في رؤية وتحليل حركة التقدم.

هذه هي عناوين الإنجازات الرئيسية التي قام بها نظام عبد الناصر والتي حاولت أن تسير على أساسها الأنظمة الوطنية العربية الأخرى في سوريا والعراق.

ولقد أحدثت هذه الإنجازات استنفاراً في معسكر الخصم بقيادة الولايات المتحدة استهدفت ضرب كل هذه المسيرة بمختلف الوسائل بما فيها وسيلة القضاء بالقوة على هذه الأنظمة .وكان مثل هذا الاستنفار يتطلب استنفارا مقابلاً في هذه الأنظمة يرتفع بها إلى مستوى ثوري جديد يعبئ قوى الجماهير سياسياً وعسكرياً واقتصادياً إلى الحد الذي يضمن الصمود والنصر. ولكن هذه الأنظمة بقيت تتحرك ضمن برامج ومخططات تفرضها عليها الطبيعة الطبقية لهذه الأنظمة. وهنا بدأت تتضح أزمة تكوين هذه الأنظمة وأزمة مخططاتها. وفي أواسط الستينات بدأ نظام مصر يعيش هذه الأزمة دون أن يكون قادراً على تجاوزها إلى أن كانت هزيمة حزيران التي أتت لتكشف بوضوح عن الأزمة التكوينية لهذا النظام وعدم قدرته ضمن هذه الطبيعة الطبقية على الانتصار على معسكر الامبريالية والرجعية والصهيونية وإسرائيل.

لقد تشكلت طبيعة هذه الأنظمة الوطنية كنتيجة للتنظيمات التي أقامتها ورؤيتها للأمور وللمدى الذي سارت إليه في تحولاتها الاشتراكية، والأوضاع الطبقية الجديدة التي أفرزتها. لقد ضربت هذه الأنظمة مصالح الإقطاع والرأسمالية واستغلالها للجماهير، ولكنها أبقت على البرجوازية الصغيرة ومصالحها في القطاع الصناعي والزراعي والتجاري، كما أفرزت في الوقت نفسه طبقة جديدة من العسكريين والسياسيين والإداريين أصبحت مصلحتها متشابكة مع مصالح البرجوازية الصغيرة وشكلت معها الطبقة الفوقية في هذه المجتمعات. ولقد أصبحت مصلحة هذه الطبقة الفوقية أن تبقي التجربة ضمن الحدود التي لا تتضارب مع مصالحها ولا تتناقض مع فكرها وتصورها للمعركة. إن هذه الطبقة معادية للاستعمار

والرجعية ولكنها في الوقت نفسه تريد المحافظة على الامتيازات التي تمتلكها. ومن هنا تحددت طبيعة البرامج السياسية والاقتصادية والعسكرية والإيديولوجية لهذه الأنظمة .

من هنا طرحت هذه الطبقة تصورها للتصدي للاستعمار وإسرائيل من خلال المؤسسة العسكرية لأن حرب التحرير الشعبية تعني بالنسبة لها إن حق هذه الطبقة في موقع القيادة مرهون بتضحيتها بكافة امتيازاتها وعيشها لنفس نمط الحياة التي يعيشها الفدائيون اليوم. ومن هنا أيضاً طرحت صيغة مائعة لتعبئة الجماهير سياسياً، لأن تعبئة الجماهير تعبئة ثورية حقيقية من خلال تنظيم سياسي حزبي يخوض الكفاح المسلح يعني صعود قيادات جديدة من العمال والفلاحين، كما يعني كذلك قدرة الجماهير على مراقبة ومحاسبة هذه الطبقة. ومن هنا كذلك طرحت هذه الطبقة برامجها الاقتصادية التي تقف بالتحول الاشتراكي عند ا لحدود القائمة. ومن هنا أخيراً طرحت هذه الطبقة فكراً سياسياً يميع رؤية حقيقة الصراع وحقيقة البرامج القادرة على الصمود والانتظار، وكذلك يميع رؤية عملية الاستغلال التي ما زالت قائمة في هذه الأنظمة لكدح العمال والفلاحين.

ومن هنا فإن هزيمة حزيران لا تشكل بالنسبة لنا مجرد هزيمة عسكرية بل هي في واقع الأمر هزيمة لهذه الأنظمة وبرامجها، وبالتالي عدم قدرتها على أحداث التعبئة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإيديولوجية التي تستطيع الصمود والانتصار على الاستعمار الجديد وتحالفاته ومخططاته في وطننا .

لقد ظلت هذه الأنظمة – حتى بعد هزيمة حزيران – تتحرك ضمن نفس هذه البرامج فهي تضع اليوم مجموعة بنود لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي تتلخص في إعادة بناء المؤسسات العسكرية من خلال تحالفها مع الاتحاد السوفيتي لتكون قادرة على خوض معركة عسكرية تكتيكية تنتهي بإزالة آثار العدوان إذا تعذر تنفيذ قرار مجلس الأمن عن طريق آخر غير طريق الحرب، مع العلم بأن هذا القرار يستهدف في الوقت نفسه اعترافاً بحق إسرائيل بالبقاء ضمن حدود جديدة آمنة. إن هذه الأنظمة تؤيد العمل الفدائي، ولكنها تؤيده كتكتيك ثوري يشكل ضغطاً على الاستعمار وإسرائيل يدفعهما باتجاه تنفيذ قرار مجلس الأمن ضمن تسوية يمكن أن تكون مقبولة من هذه الأنظمة .

إن الأنظمة الوطنية ما زالت تطرح وتتحرك ضمن هذه الإستراتيجية مقابل الإستراتيجية الثورية الجذرية التي تستهدف حرباً شعبية تحررية، طويلة الأمد، تخوضها الجماهير، بقيادة الطبقة العاملة والفلاحين وفي ظل برامج سياسية وعسكرية واقتصادية جذرية تمثلها أمامنا اليوم حركة التحرير الفيتنامية التي

أثبتت أننا بمثل هذه الصيغة فقط نستطيع أن نواجه الامبريالية وتفوقها التكنولوجي والاقتصادي والعسكري .

إننا عندما نطرح حركة التحرير الفيتنامية التي تخوض اليوم كفاحاً منتصراً ضد أميركا والرجعية الفيتنامية مثلاً لحركات التحرير الناجحة في هذا العصر، فإننا لا نتجاهل بطبيعة الحال خصوصية معركتنا سواء من حيث طبيعة إسرائيل أو طبيعة وجود الامبريالية في وطننا أو طبيعة الأرض. دائماً نقصد في حقيقة الأمر الخطوط الإستراتيجية الأساسية للحرب الفيتنامية متمثلة بالتنظيم السياسي القوي الذي يلتزم بالاشتراكية العلمية ويعبئ قوى الجماهير إلى أقصى حد، بقيادة الطبقة العاملة، وشعار الجبهة الوطنية، وأسلوب حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية، والتعبئة السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تنتج عن كل ذلك، والحرب الطويلة الأمد، والتصميم على الانتصار، ذلك التصميم الذي تجسده الطبقات الفقيرة في المجتمع. إن هذه الطبقات لا تستطيع الاستمرار في الحياة تحت وطأة الاستغلال البشع والقذر الذي تمارسه الامبريالية والرجعية الفيتنامية. كما نقصد كذلك التحالفات الثورية العالمية التي أقامتها حركة التحرير الفيتنامية لكي تستطيع من خلالها أن تواجه الامبريالية بكل ثقلها وقواها ومخططاتها.

على ضوء كل ذلك يمكننا علمياً تقييم هذه الأنظمة ودورها في معركة التحرير الوطني الفلسطينية والعربية وبالتالي تحديد صيغة العلاقات بينها وبين حركة التحرير الوطني الفلسطينية الثورية:

1) إن هذه الأنظمة معادية للامبريالية والصهيونية وإسرائيل والرجعية العربية متمثلة بالإقطاع والرأسمالية.

2) لقد حققت هذه الأنظمة مجموعة إنجازات ثورية على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية التي تشابكت – كما هو الحال في مصر– مع بداية التحول في بنية المجتمع الاقتصادي بالاتجاه الاشتراكي.

3) إن هذه الأنظمة لم تعد قادرة– بحكم التكوين الطبقي الذي نتج عن تجربتها – على مواصلة السير في طريق الثورة والارتفاع بها إلى المستوى الذي يمكنها من مواجهة حالة الاستنفار التي ولدتها في معسكر الامبريالية وإسرائيل والرجعية العربية.

4) إن برامج هذه الأنظمة في مواجهة المعركة هي برامج الطبقة البرجوازية الصغيرة التي تحتل قمة الهرم وموقع القيادة فيها والتي أثبتت حرب حزيران وما تلا حرب حزيران عجزها عن أحداث التعبئة الإيديولوجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية القادرة على الصمود وإنهاك العدو وتحقيق الانتصار.إن هذه الأنظمة ما زالت تطرح إستراتيجية الحرب التقليدية وبرامج الإصلاحات التي

تحاول من خلالها سد الثغرات الفادحة في هذه التجارب دون أن تحدث تغييراً جذرياً تاماً في مجمل بنيانها.

5) على ضوء كون هذه الأنظمة معادية للاستعمار وإسرائيل من ناحية، وكونها تطرح برامج وسطية غير جذرية في مواجهة العدو من ناحية ثانية، فإن العلاقة مع هذه الأنظمة يجب أن تكون علاقة تحالف وصراع في الوقت نفسه، التحالف معها لأنها معادية للامبريالية وإسرائيل، والتناقض معها حول إستراتيجيتها في مواجهة المعركة .

6) سيكون هناك إستراتيجيتان في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وخوض معركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية الإستراتيجية البرجوازية الصغيرة التي تطرح نظرياً وتتجه عملياً نحو إستراتيجية الحرب التقليدية من خلال إعادة بناء المؤسسة العسكرية إذا تعذر الوصول لحل سلمي، مقابل إستراتيجية الطبقة العاملة التي تطرح نظرياً وتتجه عملياً نجو إستراتيجية الحرب التقليدية من خلال إعادة بناء المؤسسة العسكرية إذا تعذر الوصول لحل سلمي، مقابل إستراتيجية الطبقة العاملة التي تطرح نظرياً وتتجه عملياً نحو حرب العصابات، وحرب التحرير الشعبية التي تخوضها الجماهير بقيادة الطبقة العالمة، وبأوسع جبهة وطنية معادية للامبريالية، وبرامج تعبوية ثورية ترتفع بعملية الحشد الجماهيرية الإيديولوجية والسياسية والاقتصادية والعسكرية على أعلى مستوى .

7) ستتعايش هاتان الإستراتيجيتان وكذلك القوى الممثلة لهما لفترة من الزمن في ظل علاقات تحالف وصراع على أن تتغلب في نهاية الأمر إستراتيجية الطبقة العاملة في الساحة الفلسطينية والعربية معاً بحيث تواجه العدو بتحالف طبقي واسع يضم العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة، بقيادة الطبقة العاملة وفي ظل إيديولوجيتها وبرامجها وحربها الشعبية التحررية المصممة على الانتصار والقادرة عليه.

8) بهذا تتحدد صيغة العلاقات بين الثورة الوطنية الفلسطينية وكافة القوى العربية.

إن الثورة الفلسطينية ستكون في المدى الاستراتيجي متصادمة مع القوى الرجعية العربية والأنظمة التي تمثلها، وستحكمها علاقات تحالف وصراع مع الأنظمة الوطنية، التي تعتلي البرجوازية الصغيرة قمة الهرم فيها، وستقيم علاقات تحالف متجهة نحو الالتحام مع قوى الثورة العربية– المتمثلة بالعمال والفلاحين– وتعبيراتها السياسية والتي ستتولد في الساحة العربية بوجه عام، والأقطار العربية المحيطة بإسرائيل بوجه خاص، بحكم طبيعة المعركة وطبيعة الإستراتيجية الثورية التي ستفرزها.

ومن خلال هذه الصورة – صورة الثورة الفلسطينية العربية، تقودها الطبقة العاملة والتي تضم كافة القوى المعادية للاستعمار ،وأن تعتمد أسلوب حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية والتي تطرح البرامج الثورية الكفيلة بحشد قوى الجماهير إيديولوجياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً إلى أعلى مستوى – ومن خلال هذه الصورة تكتمل رؤيتنا الإستراتيجية لمعركة تحرير فلسطين على الصعيد الفلسطيني أولاً، والصعيد العربي ثانياً.

قوى الثورة على الصعيد الدولي

إن الامبريالية العالمية في هذه الفترة لها ظروف وأوضاع نميزها عن فترات سابقة، كما أنها تمارس عملية استغلالها للشعوب بأساليب جديدة تتميز عن أساليبها القديمة. وبالمقابل فإن معسكر القوى المعادية للاستعمار هو اليوم من حيث الحجم والقوة في وضع مستوى جديد، يختلف عما كان عليه قبل الحرب العالمية الثانية. وعلى حركات التحرر في العالم أن تدرك الحقائق الدولية الأساسية التي تحكم هذه الفترة من التاريخ. إن حركة التحرر الفلسطينية والعربية لا تتحرك في فراغ. إنها تعيش وتقاتل وسط ظروف عالمية تؤثر عليها وتتفاعل معها، ومن خلال ذلك كله يتقرر مصيرها. إن الأرضية الدولية التي تتحرك عليها حركات التحرر الوطني كانت دائماً وستبقى عاملاً أساسياً في تقرير مصير الشعوب .

لقد كانت الحرب العالية الأولى حرباً بين الدول الرأسمالية الاستعمارية نفسها، هدفها إعادة توزيع الأسواق العالمية بين هذه الدول، فكانت تلك الحرب تفجيراً مسلحاً للتناقضات بين التكتلات الرأسمالية العالمية في تسابقها على استغلال ونهب ثروات الشعوب وبالاستئثار بأسواقها.إن تلك الحرب لم تكن حرباً ثورية تخوضها الطبقة العاملة في البلدان التقدمية والشعوب المستعبدة ضد رأس المدير المستثمر والمستغل. وتنطبق نفس الصورة إلى حد ما على الحرب العالمية الثانية. وبالتالي فإن التناقضات بين الدول الرأسمالية الاستعمارية كانت هي الظاهرة الأساسية على المسرح العالمي .

لم تكن قوى الثورة– متمثلة بالطبقة العاملة في البلدان المتقدمة وبالشعوب المستعبدة – في وضع يمكنها من تحويل هذه الحروب حروب ثورية بحيث يتخذ التناقض الأساسي على الصعيد العالمي وضعه الطبيعي بين المستغلين(بكسر الغين) والمستغلين(بفتحها). غير أن نتائج الحرب العالمية الثانية والأحداث التي تلتها بلورت الوضع العالمي على شكل جديد. لقد تجمعت قوى الاستعمار وتبلورت في معسكر واحد هو معسكر الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة ويقابله في هذا الصراع معسكر القوى الاشتراكية والشعوب المضطهدة .

لقد خرج الاتحاد السوفيتي منتصراً في هذه الحرب، واتسع المعسكر الاشتراكي ليشمل عدداً من بلدان أوروبا الشرقية، وانتصبت الشعوب المستعبدة مطالبة بحقها في التحرر والتقدم، وانتصرت ثورة الصين الكبرى بقيادة ماوتسي تونغ والحزب الشيوعي الصيني. فكانت هذه السلسلة من الأحداث والتطورات هي الدافع الموضوعي لتلاحم كافة قوى الرأسمالية والاستعمار في معسكر واحد يستطيع الدفاع عن وجوده ومصالحه في وجه هذا المد الثوري الذي ظهر في السنوات القليلة التي تلت الحرب العالمية الثانية. ولقد كانت دول الاستعمار التقليدية متمثلة بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا تنوء بأعباء الحرب، وألمانيا وإيطاليا واليابان تنوء بأعباء

الهزيمة، مما مكن للرأسمال الأميركي أن يمتد ويتغلغل في كل هذه الدول من خلال عملية إعادة البناء التي شهدتها أوروبا مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية.

من خلال ذلك كله تبلورت صورة الامبريالية ومعالمها الأساسية:

1) لقد تجمعت كافة القوى الرأسمالية الاستعمارية في معسكر واحد هو معسكر الامبريالية العالمية، بقيادة الولايات المتحدة .

2) إن ضخامة الرأسمال الأميركي وامتداده وتشابكه وترابطه مع الرأسمال الأوروبي هو الأساس الموضوعي لوحدة هذا المعسكر ووحدة مصالحه. وكذلك الأساس الموضوعي لقيادة الولايات المتحدة لهذا المعسكر .

3) إن التناقضات بين شركاء هذا المعسكر– والتي اتخذت بين وقت وآخر شكل تناقض بين الاستعمار القديم متمثلاً ببريطانيا وفرنسا، وبين الاستعمار الجديد متمثلاً بالولايات المتحدة بقيت تناقضات جزئية أمام التناقض الرئيسي الذي بدأت تواجهه كل هذه القوى الاستعمارية في صراعها ضد المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني. وبرغم اتخاذ هذا التناقض الجزئي – بين الولايات المتحدة من ناحية وبريطانيا وفرنسا من ناحية ثانية– شكلاً بارزاً كما حدث أثناء العدوان الثلاثي أو ثورة الجزائر أو بعض ساحات إفريقيا، إلا أنه بقي إجمالاً محكوماً بالتناقض الأهم والأخطر بين الامبريالية من ناحية وقوى الثورة من ناحية ثانية .

4) إن محاولات فرنسا الديغولية للخروج من هذا الإطار الامبريالي الأميركي لم تشكل حتى الآن أي تعديل جذري في هذه الصورة .

5) إن النمو التقني والتطور الهائل الذي حدث في وسائل الإنتاج وفي أسلحة الحرب أدى إلى تقوية أوضاع هذا المعسكر سواء من حيث سيطرته على السوق العالمية والتحكم بها أو من حيث قدرته على الدفاع عن وجوده ومصالحه. إننا ندرك بطبيعة الحال التناقضات والمشكلات الكبيرة التي تواجهها الولايات المتحدة اليوم سواء من جانب أوضاعها الداخلية التي تواجه أزمات حقيقية بين وقت وآخر، أو من جانب عجزها عن مواجهة حركة الشعوب كما هو حاصل في فيتنام، أو من حيث تفاقم التناقضات بينها وبين حلفائها بين وقت وآخر. غير ان هذا الجانب من الصورة يأتي متمماً لجانب النمو التقني والإنتاجي. ولا تكتمل الصورة إلا برؤية الوضع من هذين الجانبين .

6) إن الولايات المتحدة اليوم تحاول الحفاظ على مصالحها والدفاع عنها ومجابهة معسكر الثورة من خلال أساليب جديدة تختلف عن أساليب الاستعمار القديم في الدفاع عن مصالحه بواسطة القوة

وجيوش الاحتلال. إن هذا الأسلوب الجديد هو الطابع الأساسي لظاهرة الاستعمار الجديد .لقد أقامت الولايات المتحدة سلسلة الأحلاف والمعاهدات الدولية للوقوف في وجه المعسكر الاشتراكي وتطويقه وحصر امتداده وضرب حركات التحرر الوطني. ولكنها بالإضافة لسياسة الأحلاف فهي تتبع سياسة اقتصادية من شأنها إشراك قوى اجتماعية محلية في الربح التي تجنيها من وراء استغلالها للشعوب وذلك لكي تصبح هذه القوى الاجتماعية المستفيدة من وجود الاستعمار هي الحصن الذي تحاول وراءه الولايات المتحدة كذلك بأسلوبها الاستعماري الجديد احتواء حركة التحرر الوطني عن طريق التعايش مع هذه الحركات والأوضاع التي تفرزها وإزاء تنازلات لها ترضي كبرياءها القومي وتوفر لها جزء من المنافع شرط أن تبقي مصالحها الأساسية مضمونة ومحمية. كما بالإضافة لذلك كله تحاول عن طريق خطر الحرب النووية والتلويح دفع الاتحاد السوفيتي إلى التوقف عن دعم وتأييد الشعوب في حروب ضد الاستعمار لكي تستفرد بهذه الشعوب بواسطة الحروب المحلية. إن الاستعمار الجديد يحول كل ذكاء وتجارب الاستعمار في جهة الطويل المتصل للإبقاء على وجوده ونفوذه ومصالحه .

7) لقد دلت تجارب فيتنام وكوبا والدومنيك إن الولايات المتحدة في حالة فشل هذه الأساليب الحديثة في استعمار الشعوب تعود وتلجأ إلى القوة المسلحة والغزو وإنزال الجيوش للمحافظة على نفوذها وأسواقها ومصالحها .

إن الشعب الفلسطيني في مسيرته التحررية لاسترداد أرضه وحريته يواجه اليوم هذا المعسكر الامبريالي الموحد، المتفوق تكنولوجياً، والبارع في حرف الثورات وإجهاضها، والقادر على التستر وراء قوى أخرى، وغير المتردد في المجابهة المباشرة إذا شعر أن هذه القوى التي يستتر وراءها لم تعد قادرة على ضرب حركة الشعوب، والعامل على عزل حركات التحرر الوطني عن معسكر الثورة العالمي وعلى شل فعالية الاتحاد السوفييتي عن طريق التهديد بالحرب النووية والتلويح بها .

إن حرب حزيران، وما سبقها، وما تلاها، إنما هي في الواقع تجسيداً لذلك كله. لقد حاولت الولايات المتحدة احتواء حركة التحرر العربي ومساومتها، وإبقاءها بعيدة عن الالتحام العضوي بمعسكر الثورة العالمي. ثم حاولت ضربها والقضاء عليها من خلال إسرائيل وقوتها العسكرية. ثم حاولت ضربها والقضاء عليها من خلال إسرائيل وقوتها العسكرية. ثم حاولت بعد ذلك احتواءها من جديد وهي في حالة الضعف. وهي ما زالت تحاول حتى اليوم، وعن طريق إسرائيل ومدها بكل مقومات القوة، أن تبقى هذه الحركة تحت رحمتها بحيث تحتويها أو تقتلها .

ولمجابهة هذا الموضوع لا بد لحركة التحرر الفلسطينية والعربية من :

1- وضوح الرؤيا بكافة أبعادها .
2- تعبئة وحشد قواها كافة .
3- وضع البرامج السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تضمن مثل هذه التعبئة.
4- اعتماد أسلوب حرب التحرير الشعبية للتغلب على تفوق العدو التكنولوجي .
5- التحالف الكامل مع قوى الثورة على الصعيد العالمي .

إن مثل هذا التحالف الفعال هو الذي يضمن خلق المعسكر الذي نستطيع من خلاله، وتستطيع معنا كافة الشعوب المستعبدة وكافة القوى المعادية للاستعمار أن تخلق القوة القادرة على هزيمة الامبريالية رغم نقاط قوتها في هذه المرحلة .

إن صديقنا الأول هو الشعوب المستعبدة التي تعاني استعمار الامبريالية واستغلالها لجهدها وخيراتها، أو التي تعيش نفس الخطر الذي تمثله الولايات المتحدة اليوم في محاولة فرض نفوذها على الشعوب الناهضة.
إن شعوب إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية هي التي تعيش وتعاني يومياً حياة البؤس والفقر والجهل والتخلف الذي يواجه الاستعمار ووجوده. إن التناقض الأكبر الذي يعيشه عالم اليوم هو التناقض بين الامبريالية العالمية المستغلة من ناحية وبين هذه الشعوب والمعسكر الاشتراكي من ناحية أخرى. وإن تحالف حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي مع حركة التحرر في فيتنام والوضع الثوري في كوبا وكوريا الشمالية، وحركات التحرر الوطنية في بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية هو وحده القادر على إيجاد المعسكر الذي يستطيع الصمود والانتصار على معسكر الامبريالية.

وإن حركة التحرر الفلسطينية والعربية المتحالفة مع حركة التحرر الوطنية في كافة البلدان الفقيرة المتخلفة، ستجد في مواجهتها للامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة حليفاً قوياً يدعم قوتها ويزيد من قدرتها على الصمود متمثلاً بالصين الشعبية التي ما زالت موضوعياً تواجه نفس الخطر الأمريكي في محاولة تطويقها وعزلها وعرقلة نموها .

إن جمهورية الصين الشعبية العظيمة، التي ما زالت تعيش آثار التخلف الذي تسبب به الاستعمار، والتي ما زالت تواجه نفس الخطر ونفس التناقض، تتبنى هذا التحليل للتناقض العالمي الأساسي الذي حكم مسيرة التاريخ في هذه المرحلة، وبالتالي فهي تتبنى نفس الإستراتيجية التحررية الثورية التي تعتمدها شعوب الدول النامية في مواجهتها للاستعمار. وإن هذا اللقاء الاستراتيجي بخلق الأرض الموضوعية للقاء ثوري يجعلنا

أقدر على مواجهة العدو والانتصار عليه. إن الصين الشعبية تتبنى وجهة النظر الفلسطينية العربية في تحليلها لإسرائيل كقاعدة للامبريالية، ومن الضروري تحطيمها والقضاء عليها.

ورغم كل محاولات الولايات المتحدة لعزل الاتحاد السوفيتي ودول أوروبة الشرقية عن التلاحم الكامل مع مسيرتنا التحررية، ورغم تبني هذه الدول موقفاً يقتصر على منع إسرائيل من توسيع رقعتها ومد عدوانها دون ان يتناول هذا الموقف وجود إسرائيل العدواني من جذوره ومن أساسه، إلا أنه يبقى هناك تناقض بين هذا الفريق من المعسكر الاشتراكي وبين الوجود الصهيوني والامبريالية في وطننا. وإن هذا التناقض يخلق بالتالي مجالاً للتحالف بيننا وبين هذه الدول الاشتراكية ومن واجبنا أن ننميه من خلال نمو حركة التحرر الفلسطينية العربية وتصادمها الحاسم مع أعدائها بحيث تقف هذه الدول مع حركتنا التحررية حتى نهايتها الحاسمة.
إن الاستعمار والقوى الرجعية يحاولون اليوم إيجاد الثغرة في العلاقات بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية وبين الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي، وواجبنا أن نحول بوعينا دون نجاح الاستعمار في تحقيق هذا الهدف. لقد كان الاتحاد السوفيتي طيلة الفترة الماضية سنداً رئيسياً للجماهير العربية في حربها ضد الامبريالية وكافة مشاريعها ومخططاتها في وطننا .

إننا من خلال كل هذه التحالفات نوجد المعسكر الكبير الذي يقف معنا في معركتنا ويمكننا من مواجهة معسكر الخصم .

وإلى جانب هذه السلسلة من التحالفات الثورية الأساسية يجب أن نستهدف كذلك – ومن خلال فعاليتنا القتالية والسياسية ومن خلال وضوح طبيعة معركتنا كمعركة تحررية وطنية– استقطاب كافة قوى التحرر في أوروبا وأميركا وكل جزء من العالم.

بمثل هذه الإستراتيجية على الصعيد الدولي نستطيع تطويق إسرائيل والصهيونية والامبريالية وتجنيد كل قوى الثورة على الصعيد العالمي للوقوف معنا في المعركة.

إن هذه الصورة قد تبدو خيالية على ضوء واقع حركة التحرر الفلسطيني والعربي في مرحلتها الحاضرة .ولكن الفعل الثوري الدؤوب والارتقاء بحركة التحرر إلى مستوى الثورة الحقيقية الصامدة، الطويلة النفس، كفيل ببلورتها وإخراجها إلى حيز الوجود الفعلي وترجمة كل هذه التحالفات، لا بشكل التحالف المعنوي فحسب بل بشكل الإسناد الفعلي الحقيقي الذي من خلاله نخلق القدرة على الصمود والانتصار.

بهذا تكتمل أمامنا خريطة الأعداء والأصدقاء على الصعيد الفلسطيني،والصعيد العربي والصعيد العالمي، وإن الرؤية الواضحة لهذه الخريطة هي التي تزيل من أذهاننا كل نظرة سطحية للمعركة، وهي التي تحدد أبعاد المعركة وقواها وإطارها العام، وموقعها من حركة الجدل التاريخي التي تحكم هذه الفترة من تاريخ البشر.

كيف تواجه الشعوب الضعيفة تفوق الامبريالية التكنولوجي

إن مواجهتنا لمعسكر الخصم– المتمثل بإسرائيل والصهيونية العالمية والامبريالية والرجعية العربية – ستكون من خلال إستراتيجية تستهدف حشد قوى الثورة فلسطينياً وعربياً ودولياً بحيث نواجه هذا العدو من خلال معسكر ثوري يفوقه حجماً وعدداً، ولكن ذلك وحده غير كاف للانتصار. إن من نقاط القوة الأساسية لدى العدو تفوقه العلمي والتكنولوجي. وإن هذا التفوق ينعكس بقوة على قدراته العسكرية التي سنتصدى لها في حربنا الثورية. فكيف نستطيع أن نجابه هذا التفوق ونتغلب عليه؟

إن موضوع التفوق العلمي والتكنولوجي والحضاري لدى العدو ليس أمراً هيناً أو ثانوياً. إن التفوق يعني على الصعيد العسكري سرعة التعبئة لدى العدو، وحجم هذه التعبئة، ومستوى التدريب، والكفاءات العسكرية العالية، ومفاجآت الأسلحة والخطط أثناء القتال، والتفوق العام في السلاح وآلة الحرب الحديثة والقدرة على التحكم بها واستعمالها بسرعة صاعقة .

إن أية دراسة علمية دقيقة لحروب 48،56،67، تبرز بوضوح التفوق التكنولوجي والحضاري، وانعكاس هذا التفوق على الجانب العسكري في ربح هذه المعارك وخسارتنا لها . لقد أصبح من الغباء تفسير هزائمنا العسكرية في ثلاث مواجهات رئيسية، تفسيراً سطحياً اعتباطياً بوهمنا وكأننا كنا قادرين على ربح هذه المعارك لولا حدوث بعض المصادفات وبعض الأخطاء .إن فشلنا في مواجهة الصهيونية ثم إسرائيل خلال الخمسين سنة الماضية لا يمكن تفسيره إلا على أساس ضعف وهزالة بنياننا السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري في مجابهة حركة ومجتمع يتفوقان علينا علمياً وتكنولوجياً وحضارياً، وإلا من خلال خطأ رؤيتنا لمعركة وإستراتيجية المجابهة التي اعتمدناها حتى الآن. ان مجابهتنا لإسرائيل والامبريالية لا يمكن أن تؤدي إلى النصر الأكيد من خلال مجابهة عسكرية كلاسيكية تأخذ شكل الحروب التقليدية بين جيش وقوات العدو من ناحية وجيوشنا النظامية من ناحية ثانية. إن إسرائيل ستكون قادرة على ربح هذه الحروب. إن تفوقها التكنولوجي وبالتالي تفوقها بالأسلحة ونوعيتها وقدرتها على استخدام آلة الحرب الحديثة وتحركها بسرعة ومرونة صاعقة، وقدرتها الاقتصادية التي تدعم مثل هذه الحرب، ستجعلها قادرة على التغلب علينا في مثل هذه الحروب، وإنه يكفينا ثلاثة تجارب حتى نتعظ. إن الحرب التقليدية الكلاسيكية التي تتخذ اليوم شكلها السريع الخاطف، هي الصيغة التي من خللها يمارس العدو تفوقه التكنولوجي الكاسح، هي الصيغة التي تظهر من خلالها كل نقاط الضعف لمجتمع متخلف بدائي. وإن اعتمادنا على الاتحاد السوفيتي لا يكفي لسد هذه الفجوة في المستوى العلمي والتكنولوجي الحضاري، فالقضية ليست قضية "الأسلحة الحديثة والحصول

عليها" فقط وإنما الأساس هو العنصر البشري القادر على استيعاب هذه الأسلحة، والتحكم بها، واستعمالها بأكفأ شكل، والقدرة على تسيير آلة الحرب الحديثة. وهذا بدوره يتوقف على المستوى التكنولوجي والعلمي للبشر الذي يحملون هذه الأسلحة. وهذا عامل ليس حالياً لمصلحتنا والنتيجة أننا لا نستطيع مجابهة إسرائيل (ومن ورائها الولايات المتحدة التي ستنزل بقواتها نفسها للميدان إذا تطور القتال لمصلحتنا) ومن خلال مواجهة عسكرية تقليدية .

إن أسلحة الشعوب الضعيفة في مواجهتها لقوى الامبريالية وتفوقها أصبحت واضحة من خلال تجارب الشعوب التي خاضت معارك التحرر في هذا العصر وحققت انتصارها على الاستعمار. إن التفوق التكنولوجي والعسكري لدى الامبريالية يواجه من قبل الشعوب الضعيفة عن طريق حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية.

إننا عن طريق حرب العصابات تتجنب المواجهة المباشرة مع العدو، وبالتالي نمنعه من ممارسة كل تفوقه التكنولوجي ضد قواتنا وسحقها بشكل خاطف. إن حرب العصابات عن طريق مواجهة نقاط العدو الضعيفة، والانسحاب السريع وتجنب الصدام، تستطيع أن تلحق بالعدو خسائر صغيرة تتراكم يوماً بعد يوم دون أن تتيح له مواجهة كل قواتنا وسحقها بآلة حربه الفتاكة والسريعة وبهذا الأسلوب يشعر العدو أنه بدأ يفقد ميزته الأساسية، فيبدأ ميزان القوى في التغيير التدريجي البطيء في أول الأمر، ثم المتسارع مع الوقت لمصلحة قوات الثورة المسلحة. وفي الوقت الذي تستمر به حرب العصابات ضد العدو تزداد قواتنا وتكتسب الخبرة والتجربة والصلابة وفن القتال وتصبح من حيث العدد والمستوى قادرة على خوض معارك ضد وحدات من قوات العدو. وتبدأ الدورة في التشابك بين حرب العصابات من جهة وبداية حرب التحرير الشعبية من جهة ثانية. ومع تصاعد الثورة، وتزايد عملية الإنهاك لدى قوات العدو، واضطراره لتوزيعها في كل مدينة وقرية وعلى طول الحدود وعلى مختلف الجبهات، تبدأ الصورة تتجه نحو حرب الحركة الواسعة والمؤثرة.

إننا لا نستطيع القضاء التام على قوات العدو، وتحقيق التحرر التام من خلال حرب العصابات، ولكن حرب العصابات هي المرحلة الأولى وفي حرب طويلة الأمد. إن جيش الثورة يستطيع من خلال وعيه السياسي، ومن خلال تحالفاته مع قوى الثورة عالمياً وما توفره هذه التحالفات من إسناد وإمداد، ومن خلال الخبرة والكفاءة التي يستمدها من تجربة القتال، من خلال التحامه بالحزب الثوري الذي يوفر له الرؤية الواضحة والترابط العضوي مع كل قوى الثورة على كافة الأصعدة، من خلال التصميم البطولي الذي تولده فيه سنوات القهر والذل والبؤس والاستغلال التي مارستها إسرائيل والامبريالية في أرضنا، ومن خلال ذلك كله يستطيع جيش الثورة أن يتغلب على تفوق العدو .

إننا هنا لا نرسم خطة عسكرية لحرب طويلة الأمد، وفي غاية التعقيد، إننا نشير بشكل عام إلى الصورة العامة التي ستتخذها هذه الحرب على ضوء كوننا شعباً متخلفاً يواجه إسرائيل والصهيونية والامبريالية بكل قدراتها وتفوقها العلمي والتكنولوجي .

إننا نطرح صيغة حرب التحرير الشعبية مقابل صيغة الحرب التقليدية الكلاسيكية التي جابهنا بها العدو عام 48،56،67، فكانت النتيجة هزيمتنا في كل هذه الجولات.

يقول الجنرال جياب في كتابه حرب الشعب، جيش الشعب مايلي:

"إن ميزان القوى يظهر بوضوح ضعفنا مقابل قوة العدو. لذلك كان لابد وأن تكون حرب الشعب الفيتنامي في سبيل تحرره حرباً قاسية وطويلة الأمد، من أجل النجاح في خلق ظروف النصر، وإن كل التصورات النابعة من فقدان الصبر، والتي تستهدف إحراز نصر سريع، لا يمكن لها إلا أن تكون خاطئة جداً. ولقد كان من الضروري التمسك بإستراتيجية المقاومة طويلة الأمد وعقد العزم على الاعتماد على النفس، من أجل المحافظة على قواتنا وزيادتها وتقويتها تدريجياً، بينما نناوش في الوقت ذاته قوات العدو وندمرها، كان من الضروري إحراز آلاف الانتصارات الصغيرة لتحويلها إلى نصر كبير. وبهذا نغير بالتدريج ميزان القوى عن طريق تحويل ضعفنا إلى قوة، وإحراز النصر النهائي."

وفي فقرات أخرى من نفس الكتاب،يقول الجنرال جياب:

- "لقد كانت إستراتيجيتنا وكان تكتيكنا، من زاوية توجيه العمليات هي الحرب الشعبية والمقاومة طويلة الأمد".
- " لقد أثبتت حرب التحرير الفيتنامية، من وجهة النظر العسكرية، إن جيشنا شعبياً غير مسلح جيداً، ولكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة يستطيع بإستراتيجية وتكتيك مناسبين ان يجمع الظروف المطلوبة للانتصار على جيش حديث تابع للامبريالية العدوانية."
- لقد أثبتت حرب التحرير التي خاضها الشعب الفيتنامي إن النصر على عدو قوي بقدر ما هو بطاش ممكن فقط، عن طريق توحيد الشعب في قلب جبهة وطنية متحدة واسعة وحازمة... تقوم على أساس تحالف العمال والفلاحين".

ويقول ماوتسي تونغ في مقاله"الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" مايلي:

"حزب قوي النظام، مسلح بالنظرية الماركسية – اللينينية، يستخدم أسلوب النقد الذاتي ويرتبط بجماهير الشعب، وجيش يقوده مثل هذا الحزب، وجبهة متحدة تضم مختلف الطبقات الثورية والجماعات الثورية ويقودها مثل هذا الحزب."

لقد أوردنا هذه الفقرات لأنها تبين الملامح الأساسية للفكر السياسي الذي يوجه اليوم كافة الثورات التحررية الوطنية الديمقراطية التي صمدت، وتلك التي تستطيع الصمود في وجه الامبريالية العالمية.

"النظرية الثورية" ،" الحزب القوي النظام"، "قيادة العمال والفلاحين للثورة" ، " الجبهة الوطنية المتحدة الواسعة الحازمة"، "حرب التحرير الشعبية والمقاومة الطويلة الأمد"... هذه هي العناوين الإستراتيجية السياسية لحركات التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية في عصر الامبريالية اليوم .

حرب التحرير الفلسطينية

أهدافها ومعانيها

إن كون إسرائيل وجوداً عدوانياً ضد شعبنا من الأساس أمر لا يقبل المناقشة. إن قيام إسرائيل كان بالنسبة لشعبنا، طرده من وطنه وأراضيه، والاستيلاء على كل ما بناه شعبنا بجده وكدحه، وتشريده في مختلف أجزاء الوطن العربي والعالم، وحشر غالبيته في مخيمات البؤس والشقاء الموزعة في الأردن وسورية ولبنان وقطاع غزة بدون أمل ودون مستقبل.

إن كون إسرائيل وجوداً توسعياً استعمارياً على حساب الأرض العربية وأهلها، أمر لا يقبل النقاش. إنه بالنسبة لنا التجربة الحسية الملموسة التي تتبدد أمامها كل الإدعاءات الزائفة. إن"الوطن القومي الذي نص عليه وعد بلفور في عام 1917 أصبح"الدولة اليهودية" التي يشكل 54% من فلسطين بموجب قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في عام 1947، وتحول إلى "دولة إسرائيل" بحدود ما قبل حزيران 1967(أي 78% من أراضي فلسطين)، على أن اتسع أخيراً فشمل فلسطين بأكملها بالإضافة على سيناء ومرتفعات الجولان السورية.

إن كون إسرائيل قاعدة للامبريالية والاستعمار في أرضنا يستخدمها لضرب حركة الثورة والإبقاء على خضوعنا، واستمرار نهبه واستغلاله لثرواتنا وجهودنا، أمر واضح لنا، ولا يقبل النقاش. وليس ذلك بالنسبة لنا مجرد استنتاج نظري، وإنما هو الواقع الذي عشناه خلال العدوان الثلاثي عام 56، وخلال حرب حزيران عام 67، وطيلة وجود إسرائيل في أرضنا.

إلا أن ارتباط نشوء الحركة الصهيونية بالاضطهاد الأوروبي ضد اليهود، وارتباط نشوء إسرائيل بالاضطهاد النازي لهم خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك سيطرة النفوذ الامبريالي والصهيوني على قطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي، بالإضافة على وجود قوى سياسية تدعي التقدمية والاشتراكية، مضافاً لهذه الصورة تأييد الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الاشتراكية لقيام دولة إسرائيل زائد خطأ بعض القيادات الفلسطينية والعربية في طريقة طرحها لطبيعة المعركة ضد إسرائيل... كل ذلك أدى إلى تشويه حقيقة حربنا التحررية وما زال يهدد بتشويه الرؤية السليمة لحقيقة هذه الحرب في نظر الكثيرين.

إن حركة التحرير الفلسطينية ليست حركة عنصرية عدوانية ضد اليهود. إنها لا تستهدف اليهود، وإنما هدفها تحطيم دولة اسرئيل ككيان عسكري سياسي اقتصادي قائم على العدوان والتوسع والارتباط العضوي بمصالح الاستعمار في وطننا. إنها ضد الصهيونية كحركة عنصرية عدوانية، ترتبط مع الاستعمار، وتتخذ من آلام العالم الغني لخدمة مصالحها ومصالح الامبريالية في هذا الجزء من العالم الغني بالثروات والذي يشكل مدخلاً لبلدان إفريقيا وآسيا.

إن هدف حركة التحرر الفلسطينية هو إنشاء دولة وطنية ديمقراطية يعيش فيها العرب واليهود كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات وتشكل جزءاً لا يتجزأ من الوجود الوطني العربي الديمقراطي التقدمي المتعايش بسلام مع كل قوى التقدم في العالم .

لقد حرصت إسرائيل على تصوير حربنا ضدها كحرب عنصرية تستهدف القضاء على مواطن يهودي وإلقائه في البحر. وهدفها وراء ذلك حشد كافة المواطنين اليهود وتعبئتهم لحرب حياة أو موت، وبالتالي فإن خطأ استراتيجياً أساسيا في حربنا ضد إسرائيل يجب أن يستهدف فضح هذا التزييف ومخاطبة الجماهير اليهودية المستغلة(بفتح الغين) والمضللة وتبيان التناقض بين مصلحة هذه الجماهير في العيش بسلام و بين الحركة الصهيونية والقوى المتحكمة في دولة إسرائيل.

إن هذا الخط الاستراتيجي هو الذي يكفل لنا عزل الطغمة الفاشية في إسرائيل عن كافة قوى التقدم في العالم. وهو الذي يكفل لنا كذلك،خاصة مع نمو الكفاح المسلح التحرري وتوضيحه هويته، توسيع شقة التناقض القائم موضوعياً بين إسرائيل والحركة الصهيونية من ناحية وملايين اليهود المضللين والمستغلين)بفتح الغين) من ناحية ثانية .

إن حركة التحرر الفلسطينية حركة وطنية تقدمية ضد قوى العدوان والامبريالية. وإن ترابط مصالح الامبريالية مع بقاء إسرائيل، سيجعل من معركتنا ضد إسرائيل معركة ضد الامبريالية في الأساس. كما إن ترابط حركة التحرر الفلسطينية مع حركة التحرر العربية سيجعل من معركتنا ضد إسرائيل معركة مائة مليون عربي في كفاحهم التحرري القومي الوحدوي. إن معركة فلسطين اليوم، وكافة الظروف الموضوعية التي تحيط بها، ستجعل من هذه المعركة مدخلاً لتحقيق كافة أهداف الثورة العربية المترابطة مع بعضها البعض. إنها حركة تاريخية واسعة وكبيرة يخوضها مائة مليون عربي في رقعة واسعة من العالم ضد قوى الشر والعدوان والاستغلال المتمثلة بالاستعمار الجديد في هذه الحقبة من تاريخ البشرية .

وأخيراً فإن معركة فلسطين ستكون بالنسبة للجماهير الفلسطينية والعربية مدخلاً نحو حضارة العصر وانتقالاً من حالة التخلف إلى الحياة العصرية الحديثة. إننا من خلال المعركة سنكتب الوعي السياسي لحقائق العصر. ومن خلال المعركة سنلقي بالأوهام ونتعلم قيمة الحقائق. إن عادات التخلف، المتمثلة بالاستسلام والإتكالية والفردية، والعشائرية والكسل والفوضى، والارتجال، ستتحول من خلال المعركة إلى إدراك لقيمة الوقت والنظام والدقة والطريقة الموضوعية في التفكير، وأهمية العمل الجماعي، والتخطيط، والتعبئة الشاملة، والإقبال على العلم واكتساب كافة أسلحته، ومعرفة قيمة الإنسان، وانعتاق المرأة – نصف المجتمع– من عبودية العادات والتقاليد البالية، وأساسية الترابط القومي في مواجهة الأخطار وسيادة هذه الرابطة على الروابط العشائرية والقبلية والإقليمية .

إن معركتنا التحررية، القومية، الطويلة الأمد ستعني انصهارنا في نمط جديد من الحياة، هو مدخلنا نحو التقدم والحضارة .

ملاحظات عامة

هذه هي بشكل عام رؤيتنا الإستراتيجية لتحرير فلسطين. وإن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تتخذ من هذه الإستراتيجية دليلاً عاماً للعمل. يبقى أن نؤكد على أن صحة أي تحليل نظري رهن بنجاحه على أرض الواقع والممارسة. إن التجربة الثورية نفسها هي التي تعطي الجواب العلمي حول صواب أو خطأ كل تحليل نظري سياسي.

وإن أية محاولة تحليلية نظرية لا يمكن أن توفر منذ البداية وبشكل كامل الرؤية الشاملة للأمور. إن العلاقة بين الفكر والعمل الثوري علاقة جدلية. إن الفكر يوجه العمل الثوري الذي يفرزه بدوره نتائج وأوضاع وتفاعلات تعود وتؤثر في الرؤية النظرية للأمور.

وعلى هذا الأساس فإننا بقدر ما نؤكد على هذه الخطوط الإستراتيجية كدليل لنا في عملنا، نؤكد في الوقت ذاته أننا لا نفهمها بشكل قوالب جامدة وثابتة. إن التجربة نفسها ستعمل وتبلور هذه الرؤية، وتغنيها، وتكملها في بعض جوانبها، وتطورها، وقد تعمل في بعض النواحي منها. ومثل هذه النظرة لهذه الإستراتيجية هي النظرة العلمية الجدلية التي ترفض الجمود والتحجر، والتي تقوم بعملية النقد والنقد الذاتي بين وقت وآخر، والتي تستفيد من التجربة، وتربط بين الفكر والعمل الثوري ربطاً عضوياً متفاعلاً، ينمي الفكر ويعمقه ليعود بدوره ويرشد العمل بشكل أصح وأصوب. وكل نظرة غير هذه النظرة هي في واقع الأمر نظرة مثالية جامدة تؤدي إلى الفشل.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن هذه الإستراتيجية تمثل الرؤية العامة للمعركة واتجاهاتها الأساسية. وبالتالي فهي لم تقف أمام الكثير من التفصيلات والتشابكات والتعرجات التي ستملأ كل فترة من فترات المعركة والتي سترافق كل خط من خطوطها. فإننا مثلاً في تحديدنا لخط التناقض الأساسي، لم نقف أمام خطوط التناقضات التي ستكون قائمة وفاعلة بين قوى الخصم فيما بينها وبين قوى الثورة و بين بعضها بعضاً. إن تحديدنا لإسرائيل مثلاً كقوة من قوى الخصم لا يعني صورة"ستاتيكية" جامدة لهذه القوة. إن إسرائيل لا تمثل وحدة متجانسة لا مكان للتناقضات داخلها. سيكون داخل إسرائيل أكثر من قوة اجتماعية سياسية، وسيكون هناك تناقضات بين هذه القوى، وقد تشد أحياناً هذه التناقضات وتخفت على ضوء سير المعركة ومرحلتها. ومع أن التناقض القائم داخل إسرائيل بين ما يسمى بالصقور من جهة والحمام من جهة ثانية لا يترك أي أثر ذا شأن على تصور المعركة، إلا أن التناقضات الأكثر جذرية داخل إسرائيل والتي هي كامنة الآن قد تبرز وتشتد في فترات قادمة .

وكذلك فإن قولنا بالارتباط العضوي بين إسرائيل والامبريالية لا يعني عدم وجود تناقضات جزئية كامنة بينهما. كما أننا نشاهد الآن في هذه الفترة تناقضاً بين إسرائيل والحكم الرجعي في الأردن، تجعل صورة هذا الحكم وكأنه يعتبر تناقضه مع العمل الفدائي أقل شأناً بالنسبة له من تناقضه أمام إسرائيل. كذلك فنحن نشاهد في هذه الفترة استعداد البرجوازية الفلسطينية الكبيرة خارج مناطق الاحتلال، لتأييد العمل الفدائي بالمال.

وعلى الجانب الآخر من الصورة ستكون كذلك مجموعة من التناقضات. إن صورة التناقضات القائمة الآن بين التنظيمات الفلسطينية المسلحة واضحة في هذه الفترة. كذلك فإن التحالف بين حركة التحرر الفلسطينية والعمل الثوري القطري والعربي لن يكون تحالفاً منسجماً كل الانسجام دون أي تناقض. كما أننا في طرحنا لصيغة حرب التحرير الشعبية على أنها الصيغة الثورية لمجابهة الخصم،لا يجوز أن نحذف من تصورنا أن الجيوش العربية التقليدية للأنظمة الوطنية، من خلال دفاعها عن نفسها من جهة، وهجمات تكتيكية تقوم بها من جهة أخر، ستلعب لفترة طويلة من الوقت دوراً عسكرياً قد تأتي فترات يظهر فيها وكأنه الدور الرئيسي على مسرح الأحداث رغم أنها في المدى الاستراتيجي لن تكون هي القوة الثورية التي ستبقى وراء إسرائيل والامبريالية حتى تنجز التحرر الوطني الجذري.

إن خط التناقض الرئيسي الذي حددته هذه الإستراتيجية ليس خطاً هندسياً مستقيماً تقف على جانبيه قوتان متناقضتان .

إنه في حقيقة الأمر خطاً جدلياً متعرجاً، تقف على كل جانب منه مجموعة قوى متحالفة، تتعايش في تحالفها تناقضات، يشتد تحالفها حيناً وتزداد تناقضاتها حيناً آخر بحيث تصبح الصورة في بعض الفترات صورة متداخلة ومتشابكة ومتحركة على جانبي خط التناقض الأساسي, وإنه بقدر ما هو مهم وأساسي أن يرى في كل فترة من فترات المعركة الصورة التفصيلية والدقيقة التي تمكننا من تحديد خطوطنا التكتيكية بشكل علمي، فإنه هام وأساسي أن تكون رؤيتنا التفصيلية التكتيكية في كل فترة من الفترات، في ظل رؤيتنا هي التي تمكنا من قيادة المعركة وتوجهيها وعدم الوقوع في خطأ التجريبية أو الارتجال أو الانجرار وراء الأحداث، والانفعال بالأحداث بدلاً من الفعل في توجهيها.

على ضوء هذا الفهم، تتبنى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هذا التحليل السياسي الاستراتيجي، دليلاً لها في عملها النضالي في حرب التحرير التي يواجهها وتستعد لها.

القسم الثاني

الإستراتيجية التنظيمية

الإستراتيجية التنظيمية

إن حرب التحرير الشعبية ضد الامبريالية بتفوقها التكنولوجي، وقدراتها الإنتاجية والاقتصادية، وخبراتها الطويلة في استعمار الشعوب واستغلالها وخنق حركتها، وإجهاض ثورتها بأساليب جديدة متطورة ومتكيفة مع معطيات العصر،لا يمكن أن تتولد ثم تستمر وتنتصر بشكل تلقائي عفوي. إن الحزب الثوري الذي يعمل على توليد هذه الحرب، وقيادتها حتى النصر، شرط أساسي لكل ثورة جذرية حقيقية في عصرنا. إن الحزب هو الذي يوفر الرؤية السليمة للمعركة، وهو الذي يحدد إستراتيجيتها وتكتيكها على ضوء الدراسة الموضوعية لقوى المعركة، ونقاط الضعف ونقاط القوة في هذه القوى، هو الذي يوفر للمعركة قيادتها، ويقدم الإطار الذي من خلاله تعبأ كافة الطاقات الجماهيرية وتوجه لكسب الحرب وتحقيق الهدف. على ضوء ذلك تعود قضايا الحزب (فهمنا للحزب وأسس بنائه، وتكوينه الطبقي، واسلوب عمله ومؤسساته والعلاقات التي تحكم قواعده وقيادته، وكذلك علاقات الحزب بالجماهير) لا تعود كل هذه القضايا قضايا ثانوية. إن الإستراتيجية التنظيمية تصبح هنا جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجية المعركة ورؤيتنا لها. إن الحوار النظري الذي يدور منذ فترة من الوقت بين القوى الثورية في أميركا اللاتينية – الأحزاب الكاسترووية من ناحية، والأحزاب الشيوعية السوفيتية أو الصينية الاتجاه من ناحية – يتركز بالدرجة الأولى حول قضايا بناء الحزب الثوري الذي يقود الثورة .

إن فشل الأحزاب القومية اليسارية والأحزاب الشيوعية في الوطن العربي هو فشل لهذه الأحزاب نفسها، وبنيتها وتكريسها والاستراتيجيات التي اعتمدتها، وليس فشلاً لمبدأ وجود الحزب كشرط للوجود البشري، بدليل أنه لم تقم في هذا القرن ثورة نجحت واستمرت في الانتصار، وحققت تغييراً جذرياً في بنية المجتمع وأعطت حياة جديدة للجماهير، بدون حزب يقودها ويوفر لها الأساس الإيديولوجي والطبقي الاجتماعي، الذي تستقر عليه وتستند له وتستمر في الوجود بحكم ارتباطها الموضوعي به.

إن الثورة الفلسطينية تتطلب بالضرورة الحزب الثوري الفلسطيني.

لا حزب ثوري بدون نظرية ثورية

إن الأساس في بناء الحزب الثوري هو النظرية الثورية التي يلتزمها. بدون هذه النظرية يكون الحزب مجرد تجمع يتحرك بالعفوية أو بالتجربة، على التحكم بالأحداث. إن النظرية الثورية معناها الرؤية الواضحة والنهج العلمي في فهم وتحليل الأحداث والظواهر، وبالتالي القدرة على القيادة .

والنظرية الثورية التي تطرح كل قضايا الإنسان والعصر بشكل علمي وثوري هي الماركسية. فالماركسية تمثل في تاريخ الجهد الإنساني لاكتساب المعرفة محاولة فذة في فهم الطبيعة والحياة والمجتمع والتاريخ. فقد طرحت الماركسية نظرية تحلل وتفسر الطبيعة وحركتها والقوانين التي تتحكم بهذه الحركة من خلال نهج مادي علمي محسوس (المادية الديالكتيكية)، بعيد عن الأوهام والخرافات الذاتية، والاستخراجات اللفظية أو المنطقية المجردة، ثم طبقت النهج ذاته – المادي العلمي المحسوس– على دراسة المجتمع، وحركة المجتمع، وسير التاريخ (المادية التاريخية)، ووقفت بشكل خاص أمام بنية المجتمع الرأسمالي الحديث وتركيبه وتناقضاته وحركته (نظرية فائض القيمة والاشتراكية العلمية). ومن خلال ذلك كله قدمت الماركسية نهجاً علمياً جدلياً ارتقى بدراسة التاريخ والمجتمع والظواهر السياسية إلى مستوى العلم. وكما أن العلوم الطبيعية هي وسيلة الإنسان للتحكم بظواهر الطبيعة وتسخيرها لمصلحته، كذلك فإن الماركسية هي العلم الذي يمكن الإنسان من فهم سير المجتمعات والتاريخ والقدرة على تسييرها والتأثير بها. وقد أكمل لينين جهود ماركس العلمية بتطبيقه النهج الماركسي ذاته على دراسة الرأسمالية في تطورها نحو مرحلة التمركز والاحتكار والاستعمار، مفسراً بذلك كافة الظواهر والأحداث السياسي التي رافقت بداية القرن العشرين، كما أنه استطاع بالاستناد إلى الماركسية، والنهج العلمي الاشتراكي، أن يقود بنجاح أول ثورة اشتراكية في التاريخ ويرسم إستراتيجيتها ويواجه مشكلاتها ويحدد معالم رأس التنظيم الثوري الذي قادها في طريق النصر. وبذلك أعطى لينين النظرية الماركسية تطبيقاتها العصرية الثورية، بحيث أصبحت الماركسية –اللينينية هي علم الثورة في هذه الحقبة من تاريخ الإنسانية. وقد اجتازت هذه النظرية، مثل كل النظريات العلمية الأخرى، اختبار صحتها على أرض الواقع والممارسة، فاكتسبت بالتالي، خلال هذا القرن، كافة مقوماتها كعلم. إن الاختبار النهائي لأية نظرية من النظريات أو قانون من القوانين هو مجيء التجربة متطابقة مع النظرية والقوانين. وهذا ما حدث بالنسبة للماركسية. إن ثورة أكتوبر، وثورة الصين، وكوبا وفيتنام، وكل الوجود الثوري على الصعيد العالمي، قام أساساً استناداً على هذه النظرية. يقابل هذه الصورة تعثر وتبلبل وانهيار كافة المحاولات الثورية التي لم تستند إلى هذه الرؤية وهذه النظرية وهذا الدليل. إذ أنه ليس من باب الصدفة نجاح وثبات ثورة

أكتوبر والصين وكوريا الشمالية وفيتنام ودول أوروبا الاشتراكية، في الصمود في وجه الامبريالية ونجاحها في تجاوز أو بداية تجاوز حالة التخلف مقابل ما يشبه الشلل والتعثر التي تعيشها بلدان العالم الثالث، غير الملتزمة علمياً بالنظرية الاشتراكية العلمية كدليل لها في رسم كافة سياساتها وتحديد برامجها.

إن التتبع العلمي المادي الملموس لأحداث وثورات هذا القرن هو البرهان الحسي على صحة النظرية الماركسية.

إن الماركسية كسلاح نظري ثوري رهن بكيفية فهمها من ناحية وبصحة تطبيقها على واقع معين ومرحلة معينة من ناحية أخرى.

إن جوهر الماركسية هو النهج الذي تمثله في رؤية الأمور وتحليلها وتحديد اتجاه حركتها. وبالتالي فإن الفهم الثوري للماركسية هو فهمها كدليل للعمل وليس كعقيدة ثابتة جامدة. إن لينين وماوتسي تونغ، وقبلهما ماركس وانجلر، سجلوا في أكثر من مناسبة ضرورة النظر للماركسية كدليل للعمل وليس كعقيدة جامدة .

إن جوهر النظرة الماركسية للمجتمع البشري حركة متصلة، وتغيير متصل، وبالتالي فإن أي تحليل قدمته الماركسية لمرحلة معينة وواقع معين، لا يمكن أن يبقى هو التحليل ذاته لمرحلة أخرى، ولواقع جديد ينشأ باستمرار عن الواقع القديم. إن الثابت في الماركسية هو نهجها العلمي الجدلي في رؤية الأمور وهي في حالة المعركة والتغيير المتصل. وإن هذا النهج هو الماركسية وهو جوهرها، وهو السلاح النظري الثوري الذي يمكننا من رؤية الأمور علمياً وهي في حالة الحركة والتطور والتبدل المستمرين. الرأسمالية المعاصرة ليست هي الرأسمالية ذاتها في عصر ماركس، دون أي تبديل أو تغيير، وإن التكوين الطبقي في مجتمع متخلف ليس التكوين الطبقي ذاته في مجتمع صناعي وإن الظاهرة القومية التي حاولت البرجوازية الأوروبية استغلالها لخدمه مصالحها، ليست الظاهرة القومية نفسها في البلدان المتخلفة، حيث تكتسب القومية هنا مضموناً ثورياً باعتبارها الإطار الذي يعبئ الشعوب المستعبدة ضد الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية.

إن فهم الماركسية بشكل يمكننا من استيعاب هذه الفوارق، ومن الإفادة من الثروة النظرية التي قدمتها ثورات هذا القرن، ومن الإفادة أيضاً من كافة الجهود النظرية التي انطلقت من اعتماد الماركسية وعملت على إغنائها بدلاً من أن تقف وتتحجر عند حدودها، إن مثل هذا الفهم للماركسية هو واقع الأمر الفهم العلمي الماركسي لهذه النظرية. وعكس ذلك كل موقف ينظر للماركسية كعقيدة ثابتة.

إن النظرية في المفهوم الماركسي هي باستمرار على علاقة جدلية متصلة مع الواقع والممارسة, وكونها على علاقة جدلية متصلة مع الواقع والممارسة. وكونها على علاقة جدلية مع الممارسة معناه أنها في حالة نمو وارتقاء وتعديل وليس في حالة جامدة .

إن أخطر ما يواجهنا في التزامنا بالنظرية الماركسية هو فهمها بشكل مثالي ميكانيكي يفقدها قدرتها على تفسير الواقع الحي. إن الفائدة التي نحصل عليها من قراءة وفهم ما كتبه ماركس ولينين هي فائدة محدودة بحدود المعارف التي تطرحها هذه الكتابات. أما الفائدة الحقيقة فهي التي تحصل عندما نمتلك من خلال استيعابنا العميق لهذه الكتابات النهج الذي تطرحه الماركسية– اللينينية في فهم وتفسير ومواجهة قضايا المجتمع والتاريخ والعمل الثوري. إن الماركسية كأداة في التحليل وكدليل للعمل هي السلاح الذي يستهدف من امتلاك النظرية. وعلى هذا الأساس فإن الالتزام بالماركسية– اللينينية لا يقدم ولا يؤخر ما لم ينتج عن هذا الالتزام استعمال هذه النظرية وتطبيقها في فهم الواقع واستخراج إستراتيجية العمل التي تحدد طبيعة المرحلة وطبيعة المعركة وتحديد القوى المتصارعة، ورؤية حركة هذا الصراع، والإحاطة بالظروف الموضوعية التي نتحرك من خلالها. بهذا فقط،أي تطبيق الماركسية– اللينينية على الواقع الذي نعيشه والمعركة التي نخوضها، يصبح التزامنا بالنظرية الماركسية – اللينينية التزاماً له معناه وله ترجماته ونتائجه. إننا نخطئ كثيراً إذا توهمنا أن مجرد إعلاننا الالتزام بالنظرية الماركسية –اللينينية سيشكل عصا سحرية تشق لنا طريق النصر. فبقدر ما هنالك من أمثلة على ما مثلته الماركسية – اللينينية بالنسبة لبعض الثورات، كثورة الصين وفيتنام مثلاً،هنالك بالمقابل أمثلة لم يؤد بها الالتزام بالماركسية– اللينينية إلى أي شيء. إن الأحزاب الشيوعية العربية الملتزمة شكلاً ولفظاً بالماركسية – اللينينية لم تستطع قيادة الثورة في وطننا لأن التزامها كان التزاماً لفظياً، أو لأنها فهمت النظرية بشكل جامد متحجر أو لأنها لم تستطع تطبيق هذا السلاح النظري على الواقع الذي نعيشه بحيث تستخرج بواسطته الرؤية الواضحة للمعركة والإستراتيجية السليمة لقيادتها.

إن التزامنا النظرية الاشتراكية العلمية يكون مجرد فذلكة لفظية، ومجرد وهم وهروب من الواقع، ما لم يعن هذا الالتزام استيعاباً ناضجاً لهذه النظرية من قبل كوادرنا القيادية بالدرجة الأولى. وقواعدنا الحزبية بشكل عام. إن هذا الاستيعاب لا يمكن ان يتم جهد دراسي كبير لا بد من بذله لفترة طويلة من الوقت، هذا من ناحية. أما من ناحية ثانية، فإن قيمة هذا الالتزام، بهذه المعاني وهذه النتائج، هو الذي سيمهد لانتشار الفكر الثوري اليساري بين جماهير شعبنا، وهو الذي يمكن لهذا الفكر من تخطي العراقيل التي تنتصب في طريقه. إن جماهير شعبنا لن تحدد موقفها من الفكر الاشتراكي العلمي على ضوء محاكمة نظرية مجردة لهذا الفكر. إن

موقفها سيتحدد على ضوء النتائج الملموسة التي سيفرزها هذا الفكر بالنسبة لمعركتها ضد أعدائها ومستغليها. وعندما يستطيع هذا الفكر أن يجعل من الساحة الفلسطينية – العربية ساحة حرب تحرير شعبية صاعدة تهز الوجود الإسرائيلي–الصهيوني– الامبريالي– الرجعي في وطننا، على نمط ما هو حصل في فيتنام، فإن الجماهير ستدرك أن هذه النظرية كانت أقوى أسلحتها في حربها ضد أعدائها. وبهذا تتلاشى كافة العراقيل، الموضوعية والمتوهمة، التي تنتصب في وجه هذه النظرية الآن.

إن الفكر السائد الآن بين جماهيرنا هو الفكر اليميني بحكم سيادة الرجعية والاستعمار. كما إن فشل الأحزاب الشيوعية ومواقفها من قضايا الجماهير– كقضية الوحدة والقومية وإسرائيل– أدى إلى تشابك في أذهان الجماهير بين هذه المواقف والفكر الماركسي. يضاف لذلك كله محاولات الرجعية والاستعمار المتصلة لتشويه هذا الفكر، وإظهاره بمظهر المعادي لقوميتهم وتراثهم. وأخيراً هناك الصورة المشوهة عن هذا الفكر التي تقدمها المراهقة اليسارية الفجة التي تتحدث عن هذا الفكر بلغة لا تفهمها الجماهير حيث تبدو وكأنها غريبة عنهم وعن تناول قضاياهم الملحة. غير أن النتائج الإيجابية التي سيفرزها الفهم والتطبيق السليم للماركسية – اللينينية ستكون كفيلة لهذا الفكر بأن يشق طريقه في وطننا بحيث نستطيع أن نبني عليه حياتنا الجديدة وفهمنا العلمي للحياة، وقيمنا العصرية الحديثة.

بهذا المحتوى تتبنى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين النظرية الماركسية– اللينينية كخط استراتيجي أساسي لبناء الحزب الثوري بناء نظرياً صلباً يوحد فكرها ورؤيتها للمعركة ويمكنها من تعبئة الجماهير لتصب جهودها باتجاه موحد يخلق منها القوة الصلبة القادرة على تحقيق الانتصار.

البنية الطبقية للحزب الثوري

لا يكفي أن نضمن البنية النظرية الثورية للحزب. إن هذه البنية يجب أن تكون متطابقة مع البنية الطبقية. إن الحزب الثوري في الساحة الفلسطينية هو حزب طبقات الثورة: العمال والفلاحون بالدرجة الأولى. وعندما يكون أساس بنية الحزب من هذه الطبقات فعلاً، عندها نضمن صلابة هذا الحزب وصموده وقدراته الثورية، وصحة مواقفه. أما إذا كانت بنية الحزب وبنية كوادره الأساسية من الطبقة البرجوازية الصغيرة، فإن هذا الحزب، بغض النظر عن التزامه بالاشتراكية العلمية، سيعكس مواصفات هذه الطبقة بتذبذبها وترددها وميوعة مواقفها وإمكانية تراخيها وعدم صمودها أمام التحديات. إن أساس الاطمئنان الحقيقي لثورية التنظيم هو الاستيعاب العميق للاشتراكية العالمية والالتزام بها، وكون بنية الحزب من العمال والفلاحين بالدرجة الأولى ثانياً.

إن مثل هذه البنية الطبقية للحزب لا يمكن أن تتم بشكل عفوي. وإنما تتطلب الرؤية الواضحة والجهد الهادف المتجه وفق هذه الرؤية. إن العفوية التنظيمية ستؤدي عملياً إلى طغيان البرجوازية الصغيرة بحكم فعالية هذه الطبقة وإقبالها على العمل السياسي في هذه المرحلة مقابل ضعف وعدم فعالية العمال والفلاحين وعدم تبلور وعيهم السياسي والطبقي.

إن التنظيم السياسي للجبهة الشعبية حالياً لا يطابق تماماً البنية الطبقية الكادحة والمسحوقة التي تشكل الضمان المادي الموضوعي لثورية التنظيم وصلابته وقدرته على الاستمرار بالثورة. إن التنظيم السياسي للجبهة يشكل، إجمالاً، امتداداً عفوياً لتنظيم حركة القوميين العرب، وبالتالي تغلب عليه بنية البرجوازية الصغيرة وستكون نتيجة الاستمرار بالنمو العفوي دون جهد مخطط، بقاء تنظيمنا أساساً في عمان والمدن مع بعض الامتدادات الفرعية في الريف والمخيمات.

ان برامجنا التنظيمية يجب أن تستهدف وضع أكفأ عناصرنا القيادية في المخيمات والقرى. ولابد من عملية مسح شاملة للريف والمخيمات ثم التركيز الشديد في هذه المناطق. كذلك يجب التقاط العناصر الشابة والناهضة في هذه الأماكن وبناؤها نظرياً وتنظيمياً، بناء صلباً بحيث تصبح غالبية كوادرنا القيادية ذات انتماء طبقي ثوري.

إن وجود المئات من الأعضاء والكوادر في المدن في الوقت الذي لا تقوم فيه أية صلة بيننا وبين كثير من القرى وبعض المخيمات وأماكن التجمعات العمالية مهما كانت هذه التجمعات قليلة، دليل على استمرار

العضوية في نمونا التنظيمي، ودليل على عدم رؤيتنا الثورية الواضحة للأمور، ودليل، أخيراً، على عدم وجود مخططات ثورية فعالة موجهة تنبثق من هذه الرؤية إن هذه المئات من الأعضاء والكوادر يجب ان تنتشر بفعالية – وفق مخطط منظم– لتغزو أماكن التجمعات الثورية الحقيقية بحيث نجد أنفسنا بعد فترة أمام تنظيم سياسي صلب قوامه الفقراء والكادحين والمسحوقين المصممين على الثورة والاستمرار بها والصمود أمام كافة التحديات. بهذا يمكن أن نطمئن لثورية تنظيمنا، وبهذا يصبح التنظيم السياسي سنداً حقيقياً للقتال يوفر له متطلباته من الثوار المقاتلين، ويشكل حماية حقيقة له، ويلتحم معه التحاماً كاملاً. إن التنظيم السياسي المستند إلى البرجوازية الصغيرة والمثقفين، والذي لا تمتد جذوره إلى القرى والمخيمات والأحياء الفقيرة من المدن، لا يمكن أن يوفر للقتال متطلباته من الرجال، ولا يشكل سنداً حامياً للمقاتلين. ليس هذا فحسب، بل قد يصبح هذا التنظيم السياسي، في واقع الأمر، عبئاً على القتال يستهدف من وراء علاقته بالكفاح المسلح الحصول على الامتيازات المعنوية والشكليات والمواقع القيادية الفوقية بالإضافة إلى زج الكفاح المسلح في ظاهرة الصراعات والتناقضات الشخصية والتكتيكية المستترة أحياناً وراء صراعات كلامية لا علاقة لها بقضايا القتال الحقيقية.

إننا لا نقصد بطبيعة الحال ان يكون تنظيمنا السياسي مغلقاً في وجه البرجوازية الصغيرة، وإنما نعني ان تكون المادة الأساسية للتنظيم من العمال والفلاحين الفقراء حتى نضمن للتنظيم صلابته وصموده وانضباطه وتوجهه العلمي الواعي للمعركة وقضايا القتال. وفي هذه الحالة يستطيع هذا التنظيم أن يعبئ ويجند ضمن صفوفه القطاعات الثورية من البرجوازية الصغيرة، دون أن يقع ضحية ترددها وتذبذبها وميوعتها وقصر نفسها.

إن المثقفين الثوريين مادة أساسية وضرورية لبناء الحزب والثورة. والفكر الاشتراكي الحديث في تحديده لقوى الثورة في البلدان المتخلفة يعدد العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين. فالمثقفون هم الذين يوفرون للثورة الرؤية الواضحة، وهم بطبيعة الحال المادة التي من خلالها ينتقل الوعي السياسي إلى الطبقات الكادحة وكذلك يوفر القدرة على الإدارة وتنظيم الأمور والتخطيط لمختلف جوانب العمل. وبالتالي فإن وجود المثقفين الثوريين والتحامهم في بنية الحزب أمر أساسي. ولكن دور المثقفين في بناء الحزب وخدمة الثورة رهن بالتحامهم الحقيقي مع الجماهير والمقاتلين والعمل الثوري، واكتسابهم من خلال الممارسة القدرة على الصمود والثقافة المرتبطة بقضايا العمل.

إن وجود المثقفين بالحزب بمعزل عن الممارسة وعن الجماهير والقتال، قد يعرض الحزب لظاهرة الثرثرة المتناقضة مع قضايا العمل الحقيقية. إن عيش المثقفين بين الجماهير المسحوقة والمقاتلين، واستعدادهم

للتعلم منهم بقدر ما يعلموهم، وقدرتهم على مشاركتهم ظروف حياتهم نفسها، وتواضعهم العلمي، وإقامتهم علاقات رفاقية مع المقاتلين والفقراء، وتجنب العلاقات الفوقية والامتيازات المادية والمعنوية، هو الطريق لتأدية المثقفين لدورهم في الثورة. إن عدم مراعاة أو عدم ممارسة هذه الأمور، سيفقد المثقفين كل قدرة على الفعل الثوري. فالمقاتل الثوري ليس مستعداً لإقامة علاقات فوقية مع أي إنسان. إن من أهداف الثورة المساواة وكرامة الإنسان، والتعاون والعلاقات الرفاقية الإنسانية، ومن المفروض في التنظيم الذي يعد نفسه لقيادة الثورة، أن يجسد هذه الصورة داخل صفوفه.

إن خطنا الاستراتيجي الثاني في بناء الحزب الثوري هو أن تكون مادة الحزب من العمال والفلاحين والكادحين والمثقفين الثوريين. وبطبيعة الحال لا يكفي هذا التسجيل حتى نضمن تحقيق هذه الصورة. إن جهداً شاقاً وطويلاً ينتظرنا حتى ننجح في هذا الاتجاه. وعندما يصبح تنظيمنا فعلاً تنظيماً من العمال والفلاحين الفقراء والكادحين، عندما يصبح تنظيمنا فعلاً هو تنظيم المخيمات والقرى والاحياء الفقيرة في المدن، عندها يمكن الاطمئنان إلى أننا أوجدنا التنظيم الصلب الذي يمد الثورة بمتطلباتها ويوفر لها الحماية والقدرة على الاستمرار والصمود.

الحزب والجماهير

إن الحزب هو قيادة الجماهير. وبالتالي فإن أعضاء الحزب وكوادره يجب أن تكون من العناصر الواعية، والمتحمسة للعمل، والمستعدة للتضحية، والانضباط والتقيد بالنظام و مبادئ التنظيم.

إن الحزب يجب أن يحرص على أن يكون أعضاؤه إجمالاً قدوة وطليعة في الوعي، والنشاط، والتضحية، والانضباط. وإذا فقد الحزب وأعضاؤه هذه المواصفات، فإنه يفقد تلقائياً دوره كتنظيم سياسي ثوري. ولكن، بقدر ما يجب أن يحرص الحزب الثوري على أن يكون تنظيماً للعناصر الواعية والمخلصة والنشيطة والمتقيدة بالنظام، فإنه يجب أن يحرص في الوقت نفسه على أن يكون تنظيماً من اجل الجماهير، ينبثق منها ويعيش بينها، ويقاتل من أجل قضاياها، ويستند إليها، ويحقق أهدافه من خلالها وبها ومن أجل مصلحتها.

يقول ماوتسي تونغ في مقاله"حول بعض المسائل الخاصة بأساليب القيادة" مايلي:

"إذا كانت الجماعة القيادية تعمل وحدها بحماس دون أن تجمع بين حماسها وحماس الجماهير الغفيرة، فإن حماسها سوف يتلاشى في جهود عابثة تبذلها قلة من الناس، أما إذا كانت الجماهير الغفيرة متحمسة دون أن تجد جماعة قيادية قوية تنظم جهودها بصورة ملائمة، فإن هذا الحماس لا يمكن أن يدوم ولا يمكن أن يتجه الاتجاه الصحيح أو يرتفع إلى مستوى أعلى."

سيكون مفيد جداً بالنسبة لنا أن نتذكر دائماً هذا الكلام في عملنا، فمن خلال فهم العلاقة الجدلية بين الحزب والجماهير، نستطيع أن نفهم بشكل سليم دور الحزب من ناحية ودور الجماهير من ناحية أخرى. إن الخط الجماهيري هو خطنا الاستراتيجي الثالث في بناء الجبهة الشعبية.

وحتى ننجح في بناء الجبهة الشعبية كتنظيم للجماهير، يجب أن تتعمق في رؤوس أعضاء التنظيم الغاية وراء كل عمل سياسي ثوري. إن الغاية النهائية وراء عملنا هي الجماهير: حرية الجماهير، كرامة الجماهير، حياة الجماهير، تأمين حاجاتها وضمان مستقبلها.

إن بقاء هذه الغاية ماثلة في أذهاننا، وتعميق وعي الأعضاء بها، والتذكير دائماً بأهميتها، هو الذي يساعدنا على التوجه دائماً الاتجاه الصحيح في عملنا، وهو الذي يحدد مقياس تقييمنا لعملنا وكوادرنا وقيادتنا وفروع عملنا. وهو الذي يحمينا من أخطار الانغلاق، والانعزال والبيروقراطية، والفوقية والانتهازية، والانشغال بالجزئيات الداخلية وهو الذي يحدد طبيعة نشاطاتنا واتجاه فعاليتنا.

إن تنظيمنا أحياناً، أو بعض فروعه ومجالاته، يحصر نفسه في نشاطات داخلية بحتة – اجتماعات وتثقيف ومناقشات وانتقادات، الخ– وفي ظل غياب قضية الجماهير يتوجه التنظيم لها، وفي ظل عزلة يعيشها التنظيم عن الجماهير ومشكلاتها وقضاياها، تصبح حياة التنظيم مغلقة منعزلة لا تلبث أن تغرق في مشكلات التنظيم وتناقضاته الجزئية، فيفقد التنظيم كل قدرة على الفعل الثوري.

إن التوجه دائماً للجماهير، وتناول قضاياها والعمل من أجلها، ومساعدتها في فهم مشكلاتها وتحليلها واتخاذ موقف منها، ومساعدتها في تنظيم نفسها، وقيادتها للعمل في مواجهة مشكلاتها، هو أولى مهماتنا، وهو الغاية من وجودنا، وهو طريقنا الوحيد لتجميع القوة الثورية القادرة على تحقيق أهدافنا .

بدون هذا المناخ، وهذا الوعي وهذا التوجه، نقع في دائرة الانغلاق والانعزال. وهذا معناه أولاً طغيان المشكلات الثانوية للتنظيم نفسه، ومعناه ثانياً قدرة القوى المعادية على محاصرته وضربه.

إن مدى نجاحنا في تجسيد الخط الجماهيري يشكل مقياساً أساسيا من مقاييس ثورية الأعضاء وفروع التنظيم وبالتالي التنظيم السياسي ككل .

إن العضو الذي يقيم أحسن العلاقات مع الجماهير المحيطة به، والذي يفتش عن أية خدمة يمكن أن يقدمها لها، والذي يكون بالنسبة للناس المحيطين به عنصر توعية وعون، هو العضو الثوري. ولا مجال للعضو الذي يسيء للجماهير أو ينعزل عنها ان يدعي الثورية. إن فرع التنظيم الذي يقيم الندوات السياسية، ويتفاعل مع الجماهير في المشكلات والقضايا التي تواجهها، ويضع إمكانياته في خدمتها سواء كان ذلك عن طريق فتح مدرسة لمكافحة الأمية، أو مساعدتها في جني الحصاد، أو ارشادها نحو تأسيس تعاونية، أو قيادتها للمطالبة بمشروع مياه أو كهرباء أو شق طريق، هو فرع ناجح في تجسيد الخط الجماهيري. وبالمقابل لا يمكن أن يدعى النجاح أو الثورية أي فرع للتنظيم منغلق على نفسه، يحصر كل وقته وجهده في حياته التنظيمية الداخلية، ولا يحس بالجماهير ولا تحس هي بوجوده.

إن الحزب الذي يعبئ للثورة كل رجل وكل امرأة وكل عامل كل فلاح، وكل طالب، وكل شاب، ويوجههم باستمرار نحو المعركة والثورة، ويقودهم في مختلف نشاطاتهم السياسية والجماهيرية، والحزب الذي تحيط تنظيمه الأساسي اتحادات للطلاب والعمال والفلاحين ومنظمات للنساء والشباب والأشبال، هو التنظيم السياسي الجماهيري الثوري، ولا مجال لادعاء الثورية بالنسبة لحزب منغلق على نفسه يعيش في واد غير وادي الجماهير.

إن مثل هذه الصورة بطبيعة الحال لا تتحقق في وقت قصير، كما إن عملية تعبئة الجماهير يجب أن تسير ضمن السرعة التي يستطيع من خلالها التنظيم أن يجعل عملية التعبئة، عملية واعية ومنضبطة، غير عفوية وغير فوضوية. غير أن المهم أن نبقى متوجهين مثل هذا التوجه، نسير باتجاهه بخطوات ثابتة ومتصلة ومتينة، مدركين بعمق أن الغاية الأساسية والنهائية لوجودنا هي الجماهير وإننا بخير طالما أن الجماهير معنا، وطالما أن جسوراً إيجابية عديدة تربط بيننا وبين الجماهير، وأن أي انعزال أو انفضاض للجماهير من حولنا يجب أن يشكل إنذاراً وإشارة خطر تفرض علينا القيام بعملية مراجعة نقدية لمواقفنا وأساليبنا.

إن قيادة الحزب للجماهير ليست بالمهمة البسيطة. لا يكفي أن تتوفر النية، ولا يكفي أن يؤكد الحزب على أهمية الخط الجماهيري حتى تتأكد في الواقع قيادته للجماهير. إن قدرة الحزب على تحليل المواقف، والشعارات التي يطرحها، وطبيعة المشكلات الجماهيرية التي يلتقطها، والأسلوب الذي يطرح به كل هذه القضايا، ونمط العلاقات التي يقيمها مع الناس، والصيغ التعبوية والتنظيمية التي يعمل وفقها، كل هذه العوامل هي التي تحدد نجاح الحزب أو فشله في قيادة الجماهير. إن الحزب لن يستطيع ان يقود الجماهير إنما طرح القضايا غير النابعة من وسطها،أو طرحها بطريقة لا تفهمها الجماهير،أو تخلف عن طرح بعض القضايا أو تلكأ في طرحها.

يقول ماوتسي تونغ في مقاله حول"الجبهة المتحدة في العمل الثقافي"مايلي:

"إذا أردنا أن نرتبط بالجماهير فلا بد أن نعمل وفق حاجاتها ورغباتها. فكل ما نقوم به لأجل مصلحة الجماهير من عمل لا بد أن ينبعث عن حاجة الجماهير ذاتهم، لا عن رغباتنا الشخصية الطيبة. وإننا لنجد الجماهير في كثير من الأحيان تحتاج موضوعياً إلى إجراء إصلاح معين، ولكنها لا تعي هذه الحاجة، فلا تصمم على إجراء الإصلاح ولا ترغب فيه، وفي مثل هذه الحال علينا أن نتحلى بالصبر وننتظر ريثما تعي معظم الجماهير بعد أن نبذل مجهودات في نشر الوعي بينها، ويصح عزمها على الإصلاح وترغب فيه، وحينئذ فقط نستطيع أن نقدم على الإصلاح، وإلا فسننفصل عن الجماهير. وهكذا فإن كل عمل يستدعي مشاركة الجماهير سيتحول إلى مجرد شكل يؤول أمره إلى الإخفاق إذا لم تشارك فيه عن وعي وبمحض إرادتها... وهناك مبدآن يجب مراعاتهما:

أولاً: يجب أن تكون هناك حاجة الجماهير الفعلية، وليست حاجة وهمية نتخيلها نحن.

ثانياً: لا بد من وجود إرادة جماهيرية، فالجماهير هي التي تصمم وليس نحن الذين ننوب عنها في التصميم."

وبقدر ما يجب أن نتجنب مرض التسرع أو الانتهازية اليسارية في قيادة الجماهير، كذلك يجب أن نتجنب مرض التخلف والتلكؤ أي الانتهازية اليمينية.

وحول هذا الموضوع يقول ماوتسي تونغ في "حديث إلى أعضاء هيئة تحرير جريدة شانسي "مايلي:
"إذا عزمنا على شن هجوم قبل أن تعي الجماهير ضرورة الهجوم كان ذلك مغامرة، وإذا جررنا الجماهير عنوة إلى أمر يخالف رغبتها فشلنا حتماً، وإذا أرادت الجماهير التقدم فامتنعنا نحن، كان ذلك انتهازية يمينية"
إن تأكيدنا على الخط الجماهيري وعلى الدور الأساسي للجماهير لا يجوز ان يفهم فهماً مثالياً خاطئاً بحيث يتحول إلى نظرة تقديس عاطفية للجماهير تحجب عنا الرؤية الموضوعية للأمور، وتؤدي إلى الانقياد العفوي وراء الجماهير بدلاً من الالتحام معها بهدف قيادتها.

إن جماهيرنا مثلها مثل جماهير البلدان المتخلفة، هي ضحية كثير من المفاهيم البالية، والارتباطات القبلية العشائرية والطائفية والعادات والتقاليد الفاسدة والفوضوية والبعيدة عن روح العصر، وبمثل هذا الوضع لا تستطيع جماهيرنا أن تكون القوة القادرة على تحقيق الانتصار على العدو الذي حددناه. إن إقبال هذه الجماهير على الانتظام أو الالتفاف حول الحزب، دون أن يرافق عملية الانتظام والالتفاف هذه، جهود توعية سياسية ثورية وتوعية تنظيمية مسلكية، فإن النتيجة تكون نقل كل أمراض الواقع إلى التنظيم. وهذا خطأ كبير. إن الحزب الثوري هو المدرسة التي تتعلم فيها الجماهير وتغير الكثير من عاداتها وتقاليدها ومفاهيمها، فتستبدل كل ما هو بال وعتيق بما هو عصري وحديث وثوري.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن جماهيرنا الكادحة، بحكم أوضاعها الحياتية المادية، وبحكم معاناتها لعملية الاستغلال والإذلال التي تمارسها القوى المضادة للثورة، تشكل دون شك، وفي المدى الاستراتيجي، الحماية الحقيقية للثورة من كل تذبذب أو ضعف أو تخاذل، ولكن ذلك لا يجوز أن يعني أن الجماهير هي دائماً على صواب في تقدير المواقف السياسية التكتيكية وتحديد البرامج لها. إن الجماهير أحياناً تمثل في موقفها حالات انفعالية عاطفية غير علمية في حساباتها، وغير موضوعية في تقديرها لكل الظروف، وبالتالي فإنه من الخطأ ان يساير الحزب حالة الجماهير دائماً دون أي فعل أو تأثير. يجب أن يتذكر الحزب دائماً خطورة"العفوية" في العمل السياسي، وأن يدرك أن دوره هو أن يكون قيادة للجماهير وليس تابعاً لها، وإلا فقد مبررات وجوده كتنظيم سياسي ثوي.

إن العلاقة بين الحزب والجماهير هي علاقة جدلية، يعلمها ويتعلم منها، يؤثر ويتأثر بها، هي التي تقدم له الوقائع، وهو الذي يقدم لها، على ضوء استيعابه وتحليله لهذه الوقائع، التقدير السليم للموقف وبالتالي برامج العمل.

بناء الحزب المقاتل

إن إستراتيجية الكفاح المسلح يجب ان تنعكس بطبيعة الحال على إستراتيجية بناء الحزب بحيث يتم هذا البناء على ضوء مصلحة القتال ومتطلباته وبشكل يعكس نفسه على بنية الحزب والعلاقات داخل التنظيم وطبيعة تكويناته القيادية، ومادته التثقيفية ونظامه الداخلي .

إن الهدف السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية هو تحرير فلسطين .

وهذا الهدف لا يمكن أن يتم إلا من خلال الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد. وإذا غابت هذه الحقيقة عن أذهاننا فإن انحرافاً كبيراً سيحدث في عملنا الحزبي والسياسي. لن يكون هناك مجال لبناء حركة وطنية فلسطينية جماهيرية إلا من خلال القتال ومن خلال إدراك الجماهير أن مطالبتها بالانتظام والتعبئة والنشاط السياسي تستهدف تصعيد القتال – طريقها الوحيد نحو التحرير– كما أنه بالمقابل لن يكون هناك تصعيد متواصل للقتال إلا من خلال تعبئة الجماهير لتوفير متطلبات القتال وحمايته ومده بالصفوف المتتالية من المواطنين التي تضمن صموده واستمراره وتصعيد فعاليته. إن هذه العلاقة الجدلية المتلاحمة بين القتال والعمل السياسي هي التي تشكل الدليل السليم لعملنا.

إن ترجمة هذا الفهم للحركة الوطنية الفلسطينية بوجهيها المتشابكين والمتلاحمين– القتال والعمل السياسي – تعني على الصعيد التنظيمي تأكيد النقاط التالية:

1) إن الجهاز العسكري الذي يخوض القتال يجب أن يبنى بناء سياسياً ناضجاً. وإن حصر اهتمامنا بعملية البناء العسكري بشكل ميكانيكي يحمل كثيراً من الأخطار. إن المقاتل الذي يحمل السلاح يجب أن يعرف لماذا يحمل السلاح، وضد من يحمله، ومن أجل من؟ إن الرؤية السياسية السليمة للعلاقة مع الجماهير هي التي تحمي المقاتلين من أية أخطاء تؤدي إلى عزلتهم عن قوى الثورة، وهي التي تغرس فيهم القدرة على الصمود وتجنبهم السياسات القصيرة النفس، وهي التي توفر لهم الحماية من كل عمليات التخريب السياسي التي يمكن أن يقوم بها العدو، وهي التي تحدد لهم خط علاقاتهم مع كل قوة تحمل السلاح، وهي التي تجندهم في فترات معينة نحو نشاط جماهيري سياسي يفيدهم في القتال ويشد من أزرهم. إن المقاتل السياسي هو وحده الذي يستطيع الصمود في معركة طويلة قاسية كالمعركة التي يخوضها شعبنا اليوم.

إن اكتساب الجهاز المقاتل للرؤية السياسية الثورية للأمور هو الذي يضمن للقتال صموده واستمراره وعدم انحرافه.

2) إن الجهاز السياسي يجب أن يبنى بناء عسكرياً. ويجب أن يبقى ماثلاً في أذهاننا إن هذا الجهاز هو الاحتياطي للجهاز المقاتل، منه نغرف باستمرار أعداد متتالية تنضم للجهاز العسكري وتبدأ القتال، وإن أكبر انحراف يمكن أن يحدث هو أن يبنى التنظيم السياسي بشكل عفوي، ودون أن يكون مثل هذا الهدف واضحاً تماماً فتكون النتيجة أن نجد أنفسنا أمام تنظيم يريد أن ينتفع معنوياً أو سياسياً من خلال ارتباطه الشكلي بالقتال دون أن يكون هذا الجهاز جزءاً لا يتجزأ من الجهاز المقاتل. إن مثل هذا الانحراف يخلق تناقضاً كبيراً بين الجهاز المقاتل والجهاز السياسي مما يؤثر سلباً على مسيرة الثورة ويجعل من التنظيم السياسي الذي يستهدف من وراء ارتباطه بالقتال الحصول على هوية الانتساب للعمل الفدائي وبدلة القتال، وكافة الشكليات الأخرى دون أن يكون مستعداً استعداداً حقيقياً للالتحاق بالقتال، يجعل من هذا التنظيم عقبة في طريق النمو الثوري، ويجعل الحزب يعيش باستمرار حالة تناقض بين جهازه المقاتل وجهازه السياسي. إن التنظيم السياسي يجب أن يبنى للالتحاق المتواصل بالقتال ويجب أن تكون مهمته الحماية العسكرية لقتال(المقاومة الشعبية) وعيش أوضاع الجهاز المقاتل نفسها، كما يجب أن تكون مهمته اليومية المتواصلة بذل الجهود المستمرة والمضنية لخدمة القتال والجهاز المقاتل. فبهذه الطريقة يبني الحزب الموحد المقاتل ونمنع أي تناقض خطير بين العمل القتال والعمل السياسي.

3) إن قيادات الحزب يجب أن تكون بالتالي قيادات سياسية عسكرية تمتلك الوعي السياسي من ناحية والقدرة على قيادة القتال من ناحية ثانية. كما يجب بين وقت وآخر إجراء تبادل في المواقع القيادية بحيث يكون الكادر السياسي ملماً بشكل ملموس بكل قضايا وأحوال المقاتلين والقتال فتأتي أحكامه مصيبة ويكون متفهماً لكل مشكلات العمل في القطاع العسكري، كما يكون الكادر العسكري ملماً بكل مشكلات العمل على الصعيد التنظيمي والسياسي.

4) إن التثقيف الداخلي للحزب يجب أن يستهدف البناء السياسي والعسكري معاً. ويجب أن تكون الثقافة العسكرية بالنسبة للتنظيم السياسي أمراً أساسياً كالثقافة السياسية، وكذلك تكون الثقافة السياسية بالنسبة للجهاز المقاتل بنفس أهمية الثقافة العسكرية. وإن دورات الكوادر يجب أن تكون في الوقت نفسه دورات عسكرية وسياسي.

5) إن الجهد القيادي الأساسي يجب أن يتوجه لقضايا القتال وحل معضلاته وتوفير متطلبات تصعيده واستمرار نموه. إن كل الجهود التنظيمية والسياسية والإعلامية والمالية يجب أن تكون

مرتبطة بمصلحة القتال ومن أجل القتال وليس على حساب القتال، وإنه من المفروض أن يترجم ذلك نفسه على صعيد توزيع الكوادر وكافة برامج الحزب وموازناته وكل نمط فعاليته.

6) إن النظام الداخلي للحزب يجب أن يوضع على أساس تلاحم ووحدة الجهاز المقاتل والجهاز السياسي وعلى أساس وجود المقاتلين ووجود قضايا القتال في صلب حياة الحزب وكادره القيادي الأساسي .

إن الصورة التنظيمية التي نتجه نحوها هي صورة الحزب الواحد المقاتل. قسم من أعضاء هذا الحزب يخوضون القتال، وقسم آخر يستعد له، وقسم ثالث يشكل المقاومة الشعبية التي تحمي القتال وتسنده وقسم رابع يعمل يومياً بين الجماهير يشرح لها قضايا القتال، ويحركها لخدمته، وقسم خامس يقوم بالمهمات المالية والإدارية والإعلامية التي تخدم القتال. كل هذه الأقسام والفروع هي تنظيم واحد تقوده مراتب قيادية واحدة هي المسؤولة في الوقت نفسه عن القتال والتنظيم والعمل السياسي بشكل مترابط موحد.

إن شعار كل مقاتل سياسي وكل سياسي مقاتل يرسم أمامنا خطاً استراتيجياً أساسياً لبناء الحزب المقاتل المتطابق مع طبيعة رؤيتنا للحركة الوطنية الفلسطينية، ورؤيتها لمعركة التحرير.

الديمقراطية المركزية أساس العلاقات داخل الحزب الثوري

إن الثوريين الذين يلتقون حول نظرية ثورية وإستراتيجية للعمل ويتجمعون في تنظيم سياسي للنضال من أجلها، بحاجة إلى تحديد الطريقة التي ينظمون بها عملهم. مثلاً، كيف تتحدد قيادات التنظيم؟ كيف تتبدل في حالة الضرورة لتبديلها؟ كيف تقوم العلاقات بين مختلف المراتب القيادية؟ ثم ما هي العلاقات بين القيادة من جهة وأعضاء التنظيم من ناحية ثانية؟ كيف يواجه التنظيم مشكلاته وتناقضاته؟ كيف يحسم مواقفه السياسية إذا كان هناك أكثر من وجهة نظر واحدة حول الموقف المطروح؟ كيف يحافظ التنظيم على الانضباط ووحدة الحزب؟ كيف يجعل من الرابطة الحزبية الرابطة الأساسية لأعضاء التنظيم والتي تخضع لها أية روابط شخصية أو عائلية، أو محلية، أو تكتيكية، كيف يتمكن التنظيم من اكتشاف الكفاءات بين صفوفه وإتاحة الفرص أمامها لتحمل المسؤوليات التي تتناسب مع كفاءاتها؟ وكيف يستطيع التنظيم أن يحافظ على الانضباط الحديدي الذي لا بد من توفره لنجاح الحزب في تنفيذ سياسته وبرامجه دون ان يكون هذا الانضباط على حساب كرامة العضو أو حقوقه أو تفتح شخصيته؟

إن تحديد الطريق النظامية التي يواجه بها الحزب مختلف هذه القضايا شرط أساسي لبناء الحزب الثوري وتنظيم أموره والحفاظ على وحدته وسرعة حركته وزيادة فعاليته وتماسكه. وبغير وضوح هذه الطريقة وتحديدها واستيعابها من قبل كل أعضاء التنظيم والتزامهم بها، يعيش الحزب، في مواجهته لمشكلاته وقضاياه، سلسلة من التعقيدات والتناقضات، والتصرفات العفوية أو الفردية، التي تشله عن العمل، وتمنعه من التصدي الثوري لقضية الجماهير الثورية التي قام في الأساس من أجلها.

إن الديمقراطية المركزية هي المبدأ الأساسي الذي قامت عليه كافة الأحزاب الثورية التي قادت ثورات هذا العصر. وبالتالي فإن صحة هذا المبدأ التنظيمي لا تقوم على سلامته من الوجهة النظرية فحسب، بل تقوم بالأساس على صحة هذا المبدأ كما أثبتتها الممارسة وتجارب العمل الثوري.

إن **الديمقراطية** داخل الحزب تعني حق كل عضو في معرفة إستراتيجية الحزب ومواقفه السياسية ومخططاته الرئيسية، وحقه في مناقشة كل هذه القضايا وإبداء رأيه فيها، والتعبير الحر الكامل عن آرائه في كل شيء حتى ولو كان رأيه خاطئاً. إن حق كل عضو في معرفة كل شيء ضمن حدود أمن الحزب، وحقه في مناقشة إستراتيجية الحزب ومواقفه دون أي قيد، وحقه في النقد والوقوف أمام الأخطاء، يجب أن تكون حقوقاً مشروعة مصانة. هذا هو أول معنى من معاني الديمقراطية .

إن واجب القادة أن يصغوا للمقاتلين والأعضاء، ويفكروا جيداً بكل ما يقولون ويعترفوا بصحة كل نقد علمي سليم يوجهونه للعمل، ويستفيدوا بتواضع من كل رأي سديد، ويحاولون تصحيح كل رأي خاطئ لدى الأعضاء عن طريق الحوار والنقاش والإقناع.

إن الثورة بحاجة إلى حماسة الجميع، وتدفق حيويتهم والإفادة من كفاءاتهم، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا شعر الأعضاء أنهم أصحاب الثورة وهم حماتها من كل انحراف. و طريق ذلك هو حرية العضو في النقاش والحوار والنقد.

إن **جماعية القيادة** هي وجه ثان من وجوه الديمقراطية داخل التنظيم. فالقيادة الجماعية هي التي تكفل منع أي تسلط أو انحراف فردي، وهي التي تكفل حداً معيناً من الحوار والنقاش ورؤية الأمور من أكثر من زاوية بحيث تجيء مواقف الحزب سليمة قدر الإمكان. ومهما كانت ثغرات القيادة الجماعية فإن علاج هذه الثغرات يتم عن طريق التوزيع الواضح للمسؤوليات والصلاحيات، وليس عن طريق نسف مبدأ القيادة الجماعية من أساسه. إن استناد الحزب إلى عامود فقري قيادي يتكون من مجموعات متسلسلة من المراتب القيادية التخطيطية والتنفيذية، يوفر البناء الحزبي القادر على الصمود وتلقي الضربات ومنع الانحرافات قدر الإمكان، من كافة زواياها، والتوصل بقدر الإمكان إلى اصح المواقف والمخططات.
والوجه الثالث للديمقراطية داخل التنظيم الثوري هو **حق الأعضاء في إبداء رأيهم في قياداتهم ومسؤوليتهم وإعطائهم الثقة أو حجبها عنهم**، وبالتالي قدرتهم على تبديل قيادات الحزب إذا ثبت فشلها أو عجزها أو انحرافها أو فهمها الخاطئ للمسؤولية وانعكاس هذا الفهم الخاطئ على نمط علاقاتها بالأعضاء. إن القيادة التي لا تتمتع بثقة الأعضاء لا يمكن أن تكون قادرة على تعبئتهم من ناحية وتوفير الانضباط الحديدي من ناحية ثانية وإشاعة جو الحماسة والنشاط من ناحية ثالثة.

كما أن **حق الأعضاء في تبديل قياداتهم** هو الضابط الموضوعي لتصرفات القياديين وشعورهم بمسؤولية كل موقف يتخذونه أو تصرف يقدمون عليه، وحرصهم على تنمية كفاءاتهم ليكونوا بمستوى المهمات القيادية لتي يتولونها.

إن محاولة تحديد الديمقراطية بهذه الوجوه الثلاثة، رغم أهميتها، لا تفي في حقيقة الأمر، بالتوضيح الشامل والعميق بجوهر الديمقراطية وكافة قيمها ومعانيها وكل ترجماتها. ولا تفي كذلك بالتوضيح الكامل لأثر الديمقراطية وإيجابياتها في بناء التنظيم وزيادة فعاليته.

إن **التربية الديمقراطية الثورية** المتصلة هي وحدها التي تضمن لنا تحقيق جوهرها وكافة ترجماتها وحتى كافة إيجابياتها. ولا بد من التأكيد على أن فهم المسؤولين أنفسهم لمعنى الديمقراطية وأهميتها وتجسيدهم لذلك، لا يقل، بل يفوق، في أهميته فهم الأعضاء وممارستهم لها. هنا تصبح الديمقراطية مجموعة قيم ومقاييس وتقاليد في العمل تعكس نفسها على طابع العلاقات داخل التنظيم. هنا تصبح الديمقراطية رغبة حقيقية في التعرف على آراء الأعضاء، والعيش بينهم، وعدم الانعزال عنهم وعن مشكلاتهم، وعقد الندوات والجلسات الجماعية المفتوحة، وإقامة العلاقات الرفاقية بين الجميع، وتجنب العلاقات الفوقية، والاشمئزاز من العلاقات البيروقراطية وعدم تحول المسؤولية إلى أي امتياز مادي ومعنوي، وعدم ممارسة المسؤولية بشكل يسيء إلى كرامة الأعضاء، وتخليص أنفسنا من كل العادات والتقاليد الموروثة من مجتمع الطبقات الذي نشأنا فيه، وتأسيس علاقات الاحترام المتبادل والتقدير الموضوعي لكفاءات بدلاً من المجاملات وتقديس الأشخاص والاستزلام، وسعة الأفق لدى المسؤولين بحيث لا يضيقون ذرعاً من عملية الانتقاد، بل يشجعونها ويعملون على تنمية الجرأة الأدبية لدى أعضاء، وتنمية رجولتهم ومسلكيتهم الثورية.

بهذا تصبح الديمقراطية نمط حياة إنسانية ثورية داخل التنظيم قبل ان تكون مجموعة أنظمة ولوائح داخلية.

إن الديمقراطية هي وجه واحد فقط من وجهي المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات داخل التنظيم أي مبدأ الديمقراطية المركزية. وبقدر تأكيدنا على الديمقراطية لا بد من تأكيدنا بنفس القوة على المركزية. إن فهم هذا المبدأ من جانب واحد يؤدي إلى أفدح الأخطار ويجب أن يكون واضحاً أن الديمقراطية دون مركزية نتيجتها الفوضى التامة والتجنحات وفقدان الانضباط، وبالتالي شل الحزب وعدم قدرته على التحرك الموحد باتجاه تنفيذ مخططاته.

إن الحزب بحاجة إلى اتخاذ مواقف سياسية على ضوء تطور الأحداث وبحاجة إلى وضع مخططات يسير وفقها، ووضع أنظمة ولوائح تضبط سيره. وأثناء بحث هذه الأمور، من الطبيعي أن يكون هناك أكثر من وجهة نظر وأكثر من موقف وأكثر من رأي. ولا يستطيع الحزب أن يبقى إلى الأبد يجادل حول هذه القضايا حتى تتم القناعة لدى الجميع بصحة موقف محدد. إن الحزب، بعد فترة حوار معقولة حول قضاياه ومواقفه وبرامجه، ضمن إطاراته القيادية الجماعية، يحتاج إلى اتخاذ موقف، واعتماد برنامج، وتثبيت قرار. وهذا يتم عادة وفق وجهة نظر الغالبية، وقد لا يحوز الموقف المتخذ أو القرار المتخذ على موافقة الجميع دون استثناء.

ما هو الحل إذن؟ هل يبقى التنظيم مشلولاً دون أي موقف بانتظار استمرار الحوار؟ هل يخرج كل عضو ليقول رأيه الخاص وفق فهمه الخاص للأمور؟ إن ذلك معناه الفوضى والتجنح أو الشلل. إن الديمقراطية المركزية هي التي تقدم الحل. والحل هو خضوع الأقلية لرأي الغالبية. بهذا يحافظ التنظيم على وحدته وقدرته على الحركة. إن لأية وجهة نظر داخل الحزب حقها الكامل في أن تطرح نفسها بحرية كاملة ضمن القنوات التنظيمية. ولكن بعد مناقشة وجهة النظر هذه واتخاذ الحزب (أي الغالبية) موقفاً محدداً بشأنها، فإن واجب كل عنصر في الحزب ان يتبنى هذا الموقف ويدافع عنه ويلتزم به التزاماً كاملاً إلى أن تأتي المناسبة التنظيمية الثانية لمناقشة قضايا العمل من جديد في مؤتمرات الحزب وهيئاته التخطيطية.

هذا هو الوجه الأول لمفهوم المركزية، والوجه الثاني هو خضوع المراتب القيادية الفرعية للمراتب القيادية الأعلى واعتبار القيادة المركزية للتنظيم الجهة الحاسمة في كافة القضايا الأساسية والتي يحق لها نقض كل مواقف أو قرارات أي هيئة قيادية دونها. إن عمل الحزب في أي مجال من المجالات أو منطقة من المناطق أو دائرة من الدوائر قد يؤثر على سير الحزب ككل، وأي خطأ ترتكبه مرتبة قيادية معينة قد يؤثر على كل مصير الحزب أو مستقبله، وبالتالي فإن الطريقة لضبط أمور الحزب والحفاظ على وحدة وانسجام كافة مخططاته وفعاليته ومنع أي خطأ كبير أو انحراف تقع فيه فروع الحزب ودوائره، هو حق القيادة المركزية في نقض أي قرار قد تتخذه مرتبة من المراتب القيادية التي تتفرع عنها. إن ذلك لا يعني بطبيعة الحال تدخل القيادة المركزية في كل عمل من أعمال الحزب، إنما يعني حقها في مثل هذا التدخل عندما يكون تقديرها ضروري للمحافظة على مصلحة العمال.

والوجه الثالث لمفهوم المركزية هو صلاحية القيادة المطلقة أثناء التنفيذ وتحملها للمسؤولية الكاملة في تنفيذ ما يقره الحزب ديمقراطيا. عندما يبدأ التنفيذ تنتهي الديمقراطية، وينتهي النقاش والحوار، وتبدأ الطاعة والانضباط والالتزام والخضوع التام للتعليمات. وبدون ذلك لا نستطيع أن نبني الحزب الثوري ذي الانضباط الحديدي القادر على خوض معركة التحرير القاسية والطويلة الأمد.

إن مبدأ الديمقراطية المركزية يضع الأساس السليم لكافة العلاقات داخل التنظيم، إنه المبدأ الذي يجمع بين حقوق العضو وواجباته وبين الحرية والنظام.

إن تفهم كافة أعضاء الحزب لهذا المبدأ، واستيعابهم لكافة معانيه، والنظر إليه دائماً، والحرص الصادق والمسؤول على تطبيق هذا المبدأ من قبل القيادات والأعضاء يوفر اكبر ضمانة لبناء الحزب الثوري القادر على قيادة ثورة مسلحة وحرب شعبية قاسية طويلة.

إن هذا المبدأ هو الذي يضع الأساس الذي تنبثق عنه مجموعة المبادئ التنظيمية الأخرى التي تحكم حياة التنظيم (القيادة الجماعية – القيادة في صف الأعضاء– التفاعل بين القيادة والقاعدة – خضوع الأقلية للغالبية – لا أجنحة في الحزب الثوري – خضوع الأفراد للتنظيم – خضوع كل فروع الحزب للجنة المركزية). وعلى ضوء هذا المبدأ الأساسي والمبادئ المنبثقة عنه يتحدد النظام الداخلي ومجوعة اللوائح الأساسية التي تحد العلاقات، والصلاحيات والمسؤوليات، والعقوبات والمكافآت. وبذلك كله تكتمل الصورة الشاملة لحياة الحزب الداخلية كتنظيم ثوري ديمقراطي منضبط.

النقد والنقد الذاتي

إن ممارسة النقد والنقد الذاتي وتربية قيادات الحزب وكوادره وأعضائه على مثل هذه الممارسة بشكل سليم، يوفر للحزب ضمانة كبيرة لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها وبالتالي استمرار نمو الحزب بدلاً من أن ينتهي إلى العجز أو الفشل نتيجة هذه الأخطاء. انه لا يمكن لأي حزب أو لأي فرد تلافي كافة الأخطاء في العمل،وممارسة النقد هي التي تحول الخطأ إلى فائدة والسلبيات إلى إيجابيات.

إن وقفات التقييم لعملنا بين وقت وآخر، ووضع الحزب وسياساته ونشاطاته على المشرحة بين حين وآخر، والتتبع العلمي لكل ما تفرزه سياسات الحزب وبرامجه ومواقفه من إيجابيات وسلبيات لقضية الثورة، كل ذلك يوفر للحزب العقلية الثورية العلمية التي تستطيع دائماً تجاوز الأخطاء وتطوير برامج العمل على ضوء ما تفرزه الممارسة، وبالتالي قيادة العمل في طريق النجاح.

ولذلك يجب أن تتعود قيادات الحزب وأعضاؤه على الاستماع لكل نقد والتفكير فيه والإفادة منه، وعدم المكابرة لدى انكشاف الخطأ بل ضرورة الاعتراف به والعزم على تصحيحيه.

إن أية حساسية أو انفعال في مواجهة ما يوجهه الأعضاء والجماهير من نقد للحزب يؤدي إلى الانغلاق والاستمرار في الخطأ وعدم الإفادة من ملاحظات الأعضاء والأصدقاء ويضع حاجزاً بين الحزب والجماهير. إن القيادة الواثقة من نفسها وصدقها هي القيادة التي ترحب بالنقد وتصغي إليه وتفكر فيه وتستفيد منه، وتعترف بالخطأ عندما يحصل وتعمل على تصحيحه وتكون مستعدة دائماً للتطور والتجديد على ضوء ما تفرزه التجربة والممارسة. إن ممارسة النقد بالنسبة للحزب الثوري هي الوسيلة التي من خلالها يتنفس الحزب الهواء الجديد ويطرد الهواء الفاسد وبالتالي يجدد حيويته وقدراته بشكل مستمر.
يقول ماوتسي تونغ في مقاله"الحكومة الائتلافية" مايلي :

"إن ممارسة النقد الذاتي الجدي تعتبر أيضاً من المميزات البارزة التي تميزنا عن الأحزاب السياسية الأخرى. لقد قلنا إن البيت يجب أن ينظف دائماً، وإلا تراكم فيه الغبار، وإن وجوهنا يجب أن تغسل دائماً، وإلا تلطخت بالأوساخ. ونفس الشيء يقال عن عقول رفاقنا وأعمال حزبنا. والمثل الذي يقول :" إن الماء الجاري لا يأسن، ومحور الباب لا يتسوس" يدلنا على أن هذه الأشياء قاومت بحركتها الدائبة تأثيرات الجراثيم وما شابهها. أما بالنسبة إلينا فإن الوسيلة الفعالة الوحيدة لصيانة عقول رفاقنا وكيان حزبنا من تأثير الأقذار والجراثيم السياسية بمختلف أنواعها هي أن نفحص عملنا بانتظام، و أن نعمم

الأسلوب الديمقراطي في الفحص، فلا نتهيب النقد والنقد الذاتي، بل نعمل بالحكم المأثورة عن الشعب الصيني التي تقول:" قل كل ما تعرفه وقله بلا تحفظ" و"لا ذنب للقائل فليكن قوله تحذيراً للسامع" و " إن كنت مخطئاً فصحح خطأك، وإن لم تكن مخطئاً فخذ حذرك من الخطأ" .

إن تأكيدنا على ممارسة النقد يجب أن يترافق مع تأكيدنا على مجموعة الضوابط التي تجعل من النقد سلاحاً لتقوية الحزب وليس لإضعافه.

إن هناك ثلاث ضوابط أساسية يجب أخذها بعين الاعتبار: **موضوعية النقد** أولاً **وتوجيهه بقصد التصحيح لا الهدم والتخريب** ثانياً **وتناوله للقضايا الأساسية حتى لا تغرق حياة الحزب في القضايا الذاتية الصغيرة** ثالثاً.

وإنه ليهمنا جداً في حقيقة الأمر أن نوضح أن هذه الضوابط نجدها بوضوح في الفكر الثوري التنظيمي الذي وجه أعظم الثورات وبالتالي فهي ليست ضوابط تضعها قيادة الجبهة الشعبية لتقييد عملية النقد أو إشهارها في وجه منتقديها.

حول ضابط الموضوعية في ممارسة النقد يقول ماوتسي تونغ في مقاله"حول تصحيح الأفكار الخاطئة في الحزب " مايلي :

"علينا أن نحترس عند مباشرة النقد داخل الحزب، من الحكم على الأشياء حكماً مستنداً إلى التصورات الذاتية، وأن نبعد النقد عن الابتذال. يجب على الناقد أن يبنى كلامه على الأدلة والبراهين، وأن يركز نقده على الجانب السياسي".

وحول ضرورة توجيه النقد بقصد التصحيح لا التخريب يقول ماوتسي تونغ أيضاً في مقاله"إصلاح أساليب الحزب" مايلي :

" ..ولكن هدفنا الوحيد من كشف الأخطاء ونقد التقصيرات هو إنقاذ المرء لا الإجهاز عليه، تماماً كهدف الطبيب من معالجة المريض. إن الشخص المصاب بالتهاب الزائدة الدودية ينقذ عندما يزيل الجراح تلك الزائدة، وطالما كان مرتكب الأخطاء لا يصر على خطئه مثل من يخفي دائه إلى أن يزمن فيستحيل علاجه، بل كانت له رغبة صادقة خالصة في العلاج وفي إصلاح أخطائه فإننا نرحب به ونعالج داءه حتى نجعله رفيقاً جيداً. ولا يمكننا النجاح في علاجه أبداً إذا اندفعنا إلى توجيه النقد اللاذع له للتنفيس

عن سخطنا عليه. وفي معالجة داء أيديولوجي أو سياسي يجب ألا يكون المرء فظاً أن, متسرعاً على الإطلاق، بل عليه أن ينطلق من موقف "معالجة الداء بهدف إنقاذ المريض " لأن هذا هو الحل الوحيد الصحيح والفعال " .

وحول ضرورة تناول النقد للقضايا الأساسية يقول ماوتسي تونغ في مقاله "حول تصحيح الأفكار الخاطئة في الحزب" مايلي :

"ينبغي الإشارة إلى نقطة أخرى بخصوص مسألة النقد داخل الحزب وهي أن بعض الرفاق لا يعنون في نقدهم بالمسائل الكبرى، بل يحصرون كل اهتمامهم في المسائل البسيطة. وهم لا يفهمون أن الغاية الرئيسية من النقد هي التنبيه إلى الأخطاء السياسية والتنظيمية. أما فيما يتعلق بالعيوب الشخصية فلا داعي إلى توجيه اللوم كثيراً بسببها، ذلك إذا كانت هذه العيوب لا تمت بصلة إلى الأخطاء السياسية والتنظيمية، حتى لا يكونوا في حيرة من أمرهم. ثم إنه إذا تفشى مثل هذا النقد فسيتركز كل الاهتمام داخل الحزب على النقائص الصغيرة، وعندئذ سيصبح كل واحد هياباً شديد الحذر في الشؤون التافهة، وينسى مهمات الحزب السياسية وهذا أمر شديد الخطر."

إن ممارسة النقد ضمن هذه الضوابط يجب أن تكون باستمرار ظاهرة مرافقة لحياة الحزب الثورية المتجددة في حيويته دائماً .

هذه هي إستراتيجية الجبهة الشعبية من الزاوية التنظيمية.

ومن خلال هذه الخطوط واستيعابها جيداً، واعتمادها دليلاً لنا في بناء التنظيم، نستطيع أن نجعل من الجبهة الحزب الثوري، حزب الكادحين الملتصق بالجماهير والموجه لحركتها، القادر على ممارسة الكفاح المسلح، الديمقراطي، والمنضبط والمتجدد الحيوية دائماً.

ولا شك أن الكثير من متاعبنا التنظيمية في هذه الفترة سببه عدم بناء الجبهة في الأساس على ضوء هذه الإستراتيجية وهديها.

إننا نقع في خطأ كبير إذا كنا في تحليلنا لأمراضنا التنظيمية القائمة مشدودين إلى تفسيرات جزئية وشخصية. إن الوضوح التام لإستراتيجيتنا التنظيمية والجهود الطويلة المضنية التي سنبذلها داخل التنظيم لدفع حياتنا التنظيمية باتجاه هذه الخطوط، هو الحل لمعضلاتنا التنظيمية، التي هي في حقيقة الأمر

معضلات مشتركة وعامة بدرجات متفاوتة، بين كافة التنظيمات السياسية الملتفة حالياً حول العمل الفدائي. إن ذلك لا يعني أنه قد يجيء وقت يعيش فيه الحزب الثوري دون أية مشكلات، إن مثل هذا التفكير مثالي وغير علمي.

إن طموحنا هو أن نتجاوز مشكلات هذه المرحلة من حياة التنظيم لنواجه مشكلات مرحلة أرقى وأكثر ثورية.

حول حركة القوميين العرب وعلاقتها بالجبهة الشعبية

تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لدى قيامها، من فرع حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية، وأبطال العودة وجبهة التحرير الفلسطينية وعناصر مستقلة سرعان ما اتخذت شكل تجمع رابع داخل الجبهة. وعلى هذا الأساس وعلى ضوء هذا التكوين لم يكن موسوماً أن تطرح الجبهة في المرحلة الأولى من عمرها رؤية سياسية يسارية كاملة لمعركة التحرير منطلقة من النظرية الاشتراكية العلمية ومستندة لها. ما كان مفهوماً ضمناً في واقع الأمر هو أن تطرح الجبهة فكراً تحررياً عاماً يحمل ملامح تقدمية تتبلور أكثر فأكثر مع تبلور التجربة. هذا من ناحية فكر الجبهة السياسي.

أما من ناحية التنظيم فإنه لم يكن مرسوماً كذلك أن تكون الجبهة في تلك المرحلة من تكوينها تنظيماً حزبياً واحداً يقوم على نفس الخطوط الإستراتيجية التنظيمية الثورية التي تحدثنا عنها. ما كان مفهوماً كذلك أن الجبهة ستبقى إلى فترة من الوقت تتكون من مجموعة تنظيمات، يحتفظ كل تنظيم بوجوده الخاص، مع بداية تخطيط يستهدف التنسيق بين هذه التنظيمات ومحاولة توحيد المادة التثقيفية التي تعطي لها تمهيداً لتحقيق مناخ يمهد لتوحيد هذه التنظيمات في المدى الاستراتيجي على ضوء الممارسة والتجربة.

على ضوء هذه الصورة، فإنه من الواضح أن يكون هناك تمييز موضوعي محدد بين تنظيم الحركة الفلسطيني من ناحية والجبهة من ناحية أخرى. فالحركة، على ضوء ما رسمته لجنتها المركزية في دورة 1967 تمتلك فهماً ثورياً اشتراكياً من خلاله ترى إستراتيجية معركة التحرير الفلسطينية، بينما الجبهة تطرح فكراً سياسياً تحررياً ذا ملامح تقدمية. ومن ناحية ثانية فالحركة تمثل تنظيماً حزبياً موحداً يتأهب لإعادة بناء نفسه وفق إستراتيجية تنظيمية ثورية، بينما الجبهة تمثل مجموعة تنظيمات تختلف من حيث بنيتها التنظيمية. وبالتالي فإن طبيعة الصورة وطبيعة العلاقات عند تأسيس الجبهة كانت صورة تنظيم يمتلك رؤية ثورية علمية يدخل في علاقة جبهوية مع تنظيمات أخرى ضمن جبهة تطرح فكراً تحررياً تقدمياً وتتكون من مجموعة تنظيمات مستقلة متجهة نحو التوحيد. ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن تحافظ الحركة على وجودها المتميز ودورها المتميز ضمن هذه الجبهة. هذه هي خلاصة الصورة لدى تأسيس الجبهة. ولكن ما حدث في الجبهة من تطورات وانشقاقات تضعنا الآن أمام صورة تختلف كلياً وبالتالي تطرح صورة جديدة لموضوع الحركة والجبهة والعلاقة بينهما .

لقد انشقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جبهة التحرير الفلسطينية ومعها مجموعة المستقلين. وأصبح تكوين الجبهة من حركة القوميين العرب فرع الساحة الفلسطينية وإبطال العودة. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن هذا الوضع الجديد قد أمكن الحركة من أن تطرح من خلال الجبهة نهجها الثوري في تحليل الوضع الفلسطيني ورؤيتها السياسية الكاملة لمعركة التحرير، أي كامل فكرها السياسي. وبالتالي أصبحت الصورة الجديدة صورة تطابق شبه تام بين الحركة من ناحية وبين الجبهة من ناحية ثانية. ففكر الجبهة السياسي هو فكر الحركة كاملاً دون أي نقصان، وتكوينها إلى حد بعيد هو تكوين الحركة .

فتنظيم الحركة يشكل من حيث الحجم نسبة عالية من تنظيم الجبهة. وإذا أخذنا كذلك بعين الاعتبار طبيعة نشأة العودة، والأصول التنظيمية لمعظم كادرها القيادي الأول، ومناخها الفكري العام وطبيعة العلاقات الرفاقية بين الحركة وأبطال العودة، إذا أخذنا كل هذه النقاط بعين الاعتبار فإنه يصح القول إلى حد كبير بأن الجبهة من حيث التكوين كذلك تتطابق إلى حد كبير مع تكوين الحركة. وإذا كان التطابق حاصلاً بين الفكر من ناحية والتكوين من ناحية ثانية فإن تمييز استراتيجي محدد بين الحركة والجبهة لا يعود قائماً. إن أي إصرار على بقاء فرع حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية قائماً بشكل مستقل ومتميز عن الجبهة، يجب أن يستند إلى تمييز موضوعي محدد ملموس بحيث يستطيع الإنسان أن يلمس أن الحركة شيء والجبهة شيء آخر. فما هو هذا الشيء المتميز الذي يمكن ان يستند له بقاء الحركة المتميز؟ هل هي الرؤية السياسية؟ إن رؤية الجبهة السياسية للمعركة أصبحت هي رؤية الحركة؟ هل هو تمييز تنظيمي؟ صحيح إن وجود أبطال العودة ضمن الجبهة يشكل موضوعاً تنظيماً خاصاً، وصحيح كذلك أن السرعة التي قام بها تنظيم الجبهة جعل هذا التنظيم من حيث بعض المواصفات التنظيمية أقل صلابة وانضباطاً من تنظيم الحركة، ولكن هل يكفي ذلك لجعل توجهنا الاستراتيجي هو الإبقاء على الوجود الخاص والمتميز لتنظيم الحركة ضمن تنظيم الجبهة؟ على ضوء هذا التحليل رسم مؤتمر شباط / فبراير الخط الاستراتيجي التنظيمي الموجه والمرشد لمستقبل العلاقات بين الحركة والجبهة. وهذا الخط هو العمل على انصهار تنظيم الحركة في الساحة الفلسطينية ضمن تنظيم الجبهة والعمل على انصهار تنظيم أبطال العودة ضمن تنظيم الجبهة، مع التخطيط والعمل على الارتقاء بالحياة لتنظيمية للجبهة إلى مستوى الحياة الحزبية الثورية الملتزمة والمنضبطة والواعية. وعلى هذا الأساس، لا يعود فهمنا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هو فهمنا لها لدى تأسيسها- أي جبهة بالمعنى المعروف للجبهات السياسية، فكراً وعلاقات تنظيمية- وإنما يصبح فهمنا للجبهة وتوجهنا في بنائها شيء مختلف .

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، من حيث فهمنا لها الآن وتوجهنا في بنائها، هي :الحزب الثوري المستند إلى الإستراتيجية السياسية والإستراتيجية التنظيمية التي اتضحت من خلال هذا التقرير. وأثناء عملية الانصهار التام هذه بين الحركة والجبهة فإن الشعار السليم الذي نهتدي به هو : " **الحركة في خدمة الجبهة وليس الجبهة في خدمة الحركة.**"